الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

التخصص: أدب حديث ومعاصر

الشخصية في رواية رسائلمن تحت الأرض لفيودور دوستويفسكي - مقاربة نفسية-

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

- سمية شاوي
- هاجر بن قسمية

إشراف:

د. نعيمة بن علية

لجنة المناقشة:

1.	د/بختة هواشرية	جامعة البويرة	رئيسا
2.	أ.د/نعيمة بن علية	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
3.	أ.بشير بحري	جامعة البويرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022 – 2023م

إهـــــــــداء

لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي لها أن تكون، لم يكن الحلم قريبا، ولا الطريق كان محفوفاً بالتسهيلات

لكنني فعلتها.

أهدي تخرجي إلى من أحمل اسمه بكل فخر، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى أبي الغالي "علي".

فبعد فضل الله ما أنا فيه يعود إلى أبي، الرجل الذي لم ينل ولو جزء بسيط مما حصلنا عليه والرجل الذي سعى طوال حياته لكي نكون أفضل منه.

إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها، من أبصرت بها طريق حياتي، وأستمد منها قوتي واعتزازي بذاتي، إلى الكفاح الذي لا يتوقف، الشامخة التي علمتني معنى الإصرار وأن لا شيء في هذه الحياة مستحيل ، لولاها لما كنت أجلس هنا في هذه اللحظات. إليك أهدي حبي وقلمي ورسالتي وجهدي وعمري أمي "عشيط نورة".

إلى كنوزي الثمينة اللذين أنا بدونهم أفقر الناس: بشير، شعيب، لخضر وعائشة.

إلى قدري الجميل، ومصدر القوة والأمل لي في كل اللحظات "زوجي الغالي" أدامك الله لي، شكرا على صبرك الدائم علّي.

إلى عائلتي الثانية عائلة زوجي كل باسمه، وجميل مقامه.

"هاجر بن قسمية".

إهـــــــــداء

الحمد للهالذي بنعمته تتم الصالحات

أيام مضت من عمري بدأتها بخطوة، وها أنا اليوم أقطف ثمار جهدي وسهري...مسيرة أعوام صار ختامها مسك بفضل الله تعالى

أهدي تخرجي إلى من أعطتني من دمها، وروحها، وحنانها وعمرها حبا ودافعا لغد أجمل، إلى من غرست فينا حب العلم

إلى بلسم شفائي أمي الحبيبة "الوناسفاطنة"

إلى من حصد الأشواك عند دربي ليمهد لي طريق العلم...إلى من تشققت يداه في سبيل رعايتي...إلى من رسم لي المستقبل بخطوط الثقة...إلى من احمل اسمه بكل فخر "أبي الغالي محمد".

مهما فعلت ومهما قلت لن أوفكما حقكما أدامكما الله ورعاكما لتكونا منارة دائمة في حياتي

إلى من هم أنس عمري ومخزن ذكرياتي إخواني أخواتي: فاطمة الزهراء، بشرى، عبد الحق، عمار

إلى المحبة التي لا تنضب ابن أختي "وسيم"

إلى أروع من جسد الحب بكل معانيه، فكان السند والعطاء...لقد قدم لي الكثير في صور مختلفة...إلى خطيبي شريك حياتي "موسى" لن أقول لك شكرا بل سأعيش الشكر معك

كما لا يفوتني أن أخص إهدائي بذكر عائلتي الثانية عائلة خطيبي التي منحتني كل الحب والاحترام والتقدير

وأهدي تخرجي أيضا إلى جدي "المختار" وجدتي "فاطمة"رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته

إلى جدي حبيبي "مسعود" وإلى جدتي الغالية "مسعودة" حفظهما الله وأدامهما لنا

إلى كل الأهل والأقارب خاصة عمي "مسعود" وزوجته وأولاده

إلى كل من يحمل لقب شاوي وكذا لقب الوناس

إلى كل من أفادني بعلمه، وإلى كل من ساهم في إتمام هذا البحث جزاكم الله عني كل خير

"شاوي سمية"

مقدمة

مقدمة:

لقد قدم التحليل النفسي للأدب والفن خدمات جليلة، ومفاتيح لتحليل شخصيات الأدباء والفنانين، فهناك علاقة وطيدة بين الأدب وعلم النفس، إذ يعتبر علم النفس أقرب العلوم للإبداع الأدبي على اعتبار أن التحليل النفسي للأدب يكشف عن اللاوعي للأديب من خلال المكنون النفسي المبعوث في الإبداع الأدبي، والإفادة بينهما متبادلة بداية من لحظة الإبداع.

وللأدب أجناس كثيرة كالمسرح والقصة والرواية وغيرها...، حيث كان اهتمام منصبًا على الرواية، لأنها أسهمت بنصوصها في صوُّغ الهويات الثقافية للأمم في عصرنا الحاضر، وامتلاكنا صفة حب الإطلاع هو ما دفع بنا لاختيار هذا الموضوع، بالإضافة إلى حب السفر الذي يتخللنا جعلنا نسافر عبر رواية "رسائل من تحت الأرض" "لفيدو دوتسويفيكي" فهي تملك الكثير من المواصفات الجيدة كالدقة والأسلوب المتميز وفن الإبداع.

إشكالية البحث:

تسعى دراستنا للإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي تصب إجابتها في خدمة الجانب النفسي لرواية "رسائل من تحت الأرض"لفيودور دوستويفسكي"، وتوضيح أثر الإبداع الذي تركته الشخصية في هذه الّرواية.

ومنه نطرح الإشكاليات التالية:

- كيف ارتسمت معالم الشخصية في رواية رسائل من تحت الأرض لفيودور دوستويفسكي؟
- وكيف ساهم البعد النفسي في بناء الشخصية في رواية رسائل من تحت الأرض؟

ومن خلال دراستنا لرواية "رسائل منن تحت الأرض" وجدنا أن الشخصية تحمل الكثير من الأبعاد النفسية، لأن لها دور فعال في تحريك العمل الروائي، وهي بمثابة العمود الذي تبنى عليه الرواية.

المنهج المتبع:

للكشف عن الجانب الخفي للشخصية في الرواية وتوضيح كل التساؤلات والإشكاليات اعتمدنا في دراستنا على المنهج النفسي التحليلي، الذي يكشف لنا خبايا النفس البشرية، لأنه بتحليلنا للشخصية نستطيع الوصول لأهم السمات والخلفيات التي تزخر بها الرواية.

خطة البحث:

قسمنا بحثنا إلى فصلين، تناولنا في الفصل الأول الجانب النظري المعنون بمفاهيم نظرية، وتفرع بدوره إلى مباحث جاءت بالعناوين التالية:

- التحليل النفسي وآلياته.
- الشخصية أنواعها واضطراباتها.

أما الفصل الثاني الذي يعتبر تطبيقا فقد أدرجناه تحت عنوان "البعد النفسي للشخصية في رواية من تحت الأرض" وبدوره تفرع إلى مبحثين أّما الأول فقد تضمن الملامح النفسية لشخصية دوستويفسكي في الرواي، والثاني العلاقات النفسية بين شخصيات الرواية.

أهم المصادر التي اعتمدنا عليها:

كان دعامة هذا البحث عدد من المصادر والمراجع، شكلت معيًنا لا ينتضب، لاغناء مادته وتوضيح غامضة ولعلنا نستقصي أهمها رواية "رسائل من تحت الأرض" "لفيودور دوستويفسكي" وهي مُدونتُنا وعليها قطب الدراسة: أصول البحث السيكولوجي لعبد الرحمن العيسوي، مدارس علم النفس لفاخر عاقل، العلاج النفسي والطريقة الفرويدية لفيصل عباس، سيكولوجية الشخصية لأسعد شريف الأمارة، أسس علم النفس لأحمد محمد عبد الخالق.

الصعوبات التي أرهقتنا:

لا يخلو بحث من صعوبات وعثرات تجعل الباحث في حيرة من أمره، وبطول البحث والترقيم يجد بصيصا من النور، يخرجه من هذه الكبوات، وأهم الصعوبات التي واجهتنا:

- نقص بعض المصادر والمراجع.
- تشعب الموضوع في كل نقطة من نقاطه.
- ضيق الوقت وتراكم الأعمال .
- أسلوب دوستويفسكي الفصيح والدقيق ودلالات ألفاظه جعلتنا نعيد قراءة الكلام ونتأني في إصدار الأحكام عن شخصياته.

ولم نتوقف عند هذه الصعوبات، بل واصلنا طريقنا وأنجزنا بحثنا بفضل الله وتيسيره.

وختامًا نوجه الشكر لله أولاً وآخرًا ثم إلى أستاذتنا الفاضلة "نعيمة بن علية" التي كانت نعم السند والمرشد، والتي لم تبخل علينا بنصائحها القيمة، التي صنعت في بحثنا صنيع الغيث في التربة الطيبة.

وإن أصبنا فمن الله وحده سبحانك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

مفاهيم نظرية:

التحليل النفسي وآلياته

مفهوم المنهج النفسي

نشأة المنهج النفسي

أعلام المنهج النفسي

مدارس علم النفس

الشخصية مكوناتها وأنواعها:

مفهوم الشخصية

مكونات الشخصية وأنواعها

1- التحليل النفسي وآلياته:

1-1- مفهوم النقد النفسي:

عرف ابن فارس المنهج في مقاييسه: «النون والهاء والجيم أصلان متباينان، الأول المنهج، الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه وهو مستقيم المنهاج، والمنهج الطريق أيضا، والجمع المناهج»[1]، واضح من التعريف اللغوي أنّ المنهج هو الطريق الأحب الذي يسير عليه الإنسان أو الحيوان، ومنه المناهج التي تسير عليها الدراسات كالمنهج النفسي الذي نعرفه بأدبه «المنهج الذي يستمد آلياته من نظريات التحليل النفسي التي أسسها العالم "سيغموند فرويد" فسّر على ضوءها السلوك البشري برده على منطقة اللاوعي، فعلم النفس هو العلم الذي يدرس السلوك العقلي»[2].

وما أشار إليه المفهوم أيضا وزيادة شرح في المنهج النفسي حيث اعتبره عبد الجواد بأنه: «المنهج الذي يُخضع النّص الأدبي للبحوث النفسية ويحاول الانتفاع من النظريات النفسية في تفسير الظواهر الأدبية والكشف عن عللها وأسبابها ومناهجها، ومنابعها الخفية، وخطواتها الدقيقة وما لها من أعماق وأبعاد وآثار ممتدة»[3]، ومن هنا يتبين لنا أنّ المنهج النفسي يقوم على أسس ومعطيات علم النفس في معالجته للّنص الأدبي، وهذه المعطيات تقوم على نتائج الدراسة التي نهض بها علماء النفس وقد تناول عدة قضايا ومواضيع، ومن تلك المواضع نجد دراسته عملية الإبداع من حيث كيفية تولدها والظروف النفسية التي ترافقها كما تعرف نفسية المبدع الأدبي من خلال دلالات عمله الأدبي، وتهتم بدراسة نفسية المتلقي.

---

[1] أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تج: عبد السلام محمد هارون، دار اتحاد الكتاب العرب، ط(1)، 2002، ج05، ص288.

[2] يوسف وغليس، مناهج النقد الأدبي، دار الجسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط(1) 2007، ص22.

[3] عبد الجواد المحمص، مقال: المنهج النفسي في النقد، دراسة تطبيقية، مجلة الحرص الوطني، تصدر عن رئاسة الحرص الوطني السعودي، 1419، العدد155، ص80.

ونلخص من هذا أنه في أعمال كل كائن بشري رغبات مكبوتة تبحث عن الإشباع في أجواء لا تسمح لها بذلك «وحيث يكون من الصعب إخماد هذه الحرائق المشتعلة، فإنه مضطر إلى تصعيدها أي إشباعها بكيفيات مختلفة، النوم وأحلام اليقظة والهذيان والأعمال الأدبية، وكان الفن إذا تصعيد وتفويض للذي لم يستطع الفنان تحقيقه في الواقع الاجتماعي، واستجابة تلك المثيرات الدائمة في الأعماق النفسية والتي تكون رغبات نسبية حسب أدلر»[1].

1-2- نشأة النقد النفسي:

كان ظهور المنهج النفسي في النقد الأدبي منذ القدم، وذلك في بعض الظواهر الإبداعية على شكل ملاحظات، فمثلا يمكن ملاحظة نظرية التطهير عند أرسطو نربط الإبداع الأدبي بوظائف نفسية من خلال مشاعر العاطفة والخوف والشفقة التي يحس بها المتلقي الذي يتمثل ننفسه في البطل المأساوي، وكذلك ربط أرسطو بين التطهير والموسيقى في كتابه «السياسة من منظور طبي بحت، واعتبر الموسيقى التطهيرية صالحة لعلاج بعض الحالات المرضية يكون فيها المريض مسكونا بالأرواح، وبذلك تكون بمثابة العلاج الذي يداوي المستمع ويطهره وينقيه»[2].

أ- النقد النفسي عند العرب:

كان العلماء العرب قديما فضل السبق في المنهج النفسي، لأنهم رحمهم الله لم يتركوا باًبا من أبواب العلم إلاّ وقد فتلوه بحثا وتنقيبا وتمحيصًا ودراية، ويظهر هذا في عصر ازدهار الثقافة العربي، وأول من بحث عنه "ابن قتيبة الدينوري" وكان صاحب خبرة بأحوال النفس فحدد الوقت المناسب لقول الشعر، حيث يرى أن معظم الشعراء ينظمون شعرهم من أول الليل، الخلو الميسر في الأمراض والعلل وأيضا في صدر النهار.

---

[1] يوسف وغليس، مناهج النقد الأدبي، ص21.

[2] عبد الله القرني، مقال: المنهج النفسي في قراءة النّصوص، مجلة عكاظ، صوت المواطن السعودية، الجمعة 16 شعبان 1438هـ.

«ولم يتفرد ابن قتيبة في هذا المجال فالقاضي الجرجاني أيضا قام بتحليل الملكة الشعرية، وذكر أن الشعر يدل على نفسية وطباع الشاعر، فمن كان شعره فضًا فإن شخصيته فضة، ومن كان شعره رقيقا فهذا دليل على رقة مشاعره.

وإذا تعمقنا في النقد الأدبي نجد "ابن طباطبا العلوي" قد تحدث عن المنهج النفسي، ويعتبر أنّ راحة القارئ أثناء قراءته للّنص دلالة على نفسية الكاتب المريحة»[1].

وعلى الرغم من أنّ المنهج النفسي لم يكن معروفًا قديما بمصطلحاته ومفاهيمه وآلياته، إلا أنّ الكثير من المفكرين تحدثوا عنه في أماكن متفرقة من كتاباتهم وملاحظاتهم.

ب- النقد النفسي عند الغرب:

أّما المنهج النفسي عند الغرب فكان ظهوره في القرن التاسع عشر مع ظهور علم النفس، وبصدور مؤلفات "سيغموند فرويد" في نظريات التحليل النفسي.

وقد ظهرت فكرة التحليل النفسي ونشأت في محيط العلاج الطبي النفسي، واشتهر في هذا العلاج "شاركوه" وتلميذه "جانيه" وأّما الخطوة التي تعتبر مبدأ حقيقيا لهذا العلم، قد أتت عن طريق "بروبر" في طريقته للعلاج، حتى انضم إليه "سيغموند فرويد" وهو طبيب نفساني، درس على يد "شاركوه" لبعض الوقت في باريس ثم، عاد إلى فّينا، وعمل مع ""بروبر" واستقل بعد ذلك فرويد في العمل وبقي لمدة أربعين سنة أو أكثر يجمع نتائجه الخاصة بدراساته وعلاجاته، وينشرها في الكتب، ويلقيها في المحاضرات واستطاع أن يجمع حوله نفر من التلاميذ، وانتشر مذهبه في التحليل النفسي عن طريقهم في ممالك مختلفة أهمها: ألمانيا- إنجلترا – أمريكا، وقد أصدر "فرويد" وتلاميذه مئات المؤلفات والمجلات والنشارات، ومن تلاميذه من أبدع في نظرية جديدة في علم النفس يمكن أن تعتبر مشتقة من التحليل النفسي، ولكنها انحرفت عن بعض أسسه انحرافا كافيا

[1] مقال بواسطة أكاديمية (DTS) بعنوان: المنهج النفسي في النقد الأدبي محرر بـ 2018/07/15.

يجعل منها مدارس جديدة قائمة بذاتها منها: "مدرسة يونغ" صاحب علم النفس التحليلي، ومدرسة "أدلر" صاحب علم النفس الفردي[1].

وقد ركز فرويد على تفسير الأحلام باعتبارها العامل الذي تظهر فيه الرغبات المكبوتة، وقام باعتبار أنّ الّنص لا شعورية للإبداع نصه، وهو نوع من التعويض من رغبات مكبوتة مندسة لم يستطع الكاتب إشباعها في الواقع بسبب العراقيل الاجتماعية والدينية والثقافية (الأنا- الأنا الأعلى)، فوجد في الأدب والفن تنفيسا عن مكبوتاته، «وقد أخضع "سيغموند فرويد" نصوصًا أدبية وأعمالاً فنية للتحليل النفسي مثل رواية الجريمة والعقاب لدوستويفسكي، ولوحات ليوناردو دافينشي، واكتشف أنها تعبر عن نفس تعاني من المرضوالكبت الجنسي على الخصوص، ثم تطورت الدراسات على يد من جاء بعده مثل: كارل يونغ، وألفرد أدلر، جاك لاكان، وشارل مورون، وغيرهم»[2]، ولكل من هؤلاء نظريته في خدمة التحليل النفسي للأدب، وإذا ضربنا في جذور التاريخ نجد أنّ أفلاطون قد تحدث عن هذا المنهج من خلال العواطف والقيم التي تحرك الإنسان حيث قام بطرد الشعراء من مدينته الفاضلة.

-3- مدارس علم النفس:

اهتم علم النفس بدراسة السلوك الإنساني وما يصاحبه من نشاطات الكائن الحي، حيث واجه العديد من العلماء صعوبات في تحديد سلوك الإنسان، وهذا ما أدى إلى تعدد نظريات المدارس السيكولوجية المختلفة، فما هي هذه المدارس؟ وكيف ساهمت في زيادة المعرفة والتطور الفكري؟.

أ- مدرسة التحليل النفسي:

---

[1] ينظر: محمد فؤاد جلال، مبادئ التحليل النفسي، دار هنداوي، المملكة المتحدة، سنة 2007، ط02، ص 414.

[2] مصطفى لعقيري، مقال: التحليل النفسي للأدب، صحيفة القدس العربي 05 يونيو 2020.

نشأتها:

تعود جذور هذه المدرسة إلى أعمال "شاركوه" طبيب الأمراض العصبية الذي كان مجال بحثه التنويم المغناطيسي للهستيريين، وبعدها سعى إلى تغيير الاضطرابات الظاهرة على المرضى الذين يعانون من الشلل، وسمي هذا النوع من المرض "بالشكل الهستيري"، حيث وصل شاركوه إلى أنّ سبب حدوث هذا الشلل ليس الحادث بل الذكرى التي يخلفها هذا الحادث، وكانت هذه الأعمال لشاركوه بمثابة بؤرة ضوء للدراسات النفسية عن المرضى النفسانيين والتي فتحت مجالات عدة في العلاج النفسي.

ويرى "شاركوه" بأنّ الطبيب الذي يستطيع فعل شيء بشأن الحادث الذي مّر على حياة المريض، يمكنه إحداث تغيير في الذكرى الحادثة لدى المريض[1].

ثم ظهر الباحث "بيار جانيه" ليؤكد أعمال معلمه "شاركوه" ما بين 1886-1892 وخاصة في كتابه "التلقائية النفسية" سنة 1889، وبعدها تضاعفت الجهود حيث أصبح جانبيه يمارس التحليل النفساني على مرضاه ساعيا إلى تحقيق "التطهير المعنوي" حيث أنه تكلم سنة 1889 عن حالة تحت اللاوعي تحصل عن طريق التفكك النفساني، ودعت بضرورة وضع المريض في حالة ملائمة من سرد وقائع الحادث المسبب للاضطراب[2].

حيث اهتم "بيار بياجيه" الذي تتلمذ على يد "شاركوه" بدراسة الأفعال العصبية اللاشعورية والتي سماها بالآليات العقلية، كما اهتم "بيار جانيه" بدراسة الأعصاب ومن هنا تطور استخدام

---

[1] ينظر: بديع عبد العزيز القشاعلة، مدارس علم النفس، ص41.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص43.

التنويم المغناطيسي في الهستيريا، فوجدوا أن المريضيستطيع حيث يـُنّوم مغناطيسيا أن يسترجع الحياة الدفينة وأن يـُدلي ببعض الحقائق التي لم يستطع تذكرها في اليقظة[1].

صحيح أن أعمال كل من "شاركوه وجانيه" كانت بمثابة نهد للنظرية النفسية التحليلية قبل ظهور مدرسة التحليل النفسي، حيث لقيت هذه الأعمال استحسانا كبيرا من طرف علماء النفس، وأطباء مختصين في الأمراض العصبية، إلا أن ما أضافه "فرويد" حجب أعمال "جانيه" من خلال توجيه وجهة نفسية تحليلية.

أعمال فرويد في التحليل النفسي:

بدأ فرويد أعماله في الجانب التحليلي سنة 1886 عندما بدأ يهتم بدراسة الحالات العصبية عامة الهستيريا خاصة، معتمدا طريقة متميزة في العلاج سميت بـ: "التنويم المغناطيسي" رغم الصعوبات العظيمة التي واجهها في تطبيق هذه الطريقة.

حيث واجه صعوبة تنويم بعض المرضى، ثم قرر القيام بدراسة أعمق بفهم طريقة التنويم المغناطيسي، ثم التحق بفرنسا ثم تفاجئ بتعليق الأطباء على أنّ نجاح هذه الطريقة بشكل أكبر على المرضى الفقراء مقارنة بالذين يعالجون بحسابهم الخاص، ثم عاد فرويد إلى فّينا مع استمراره في استعمال التنويم المغناطيسي والسعي إلى إيجاد علاج أفضل، إلى أن اتحد العالم "بروبر" في إيجاد طريقة في العلاج النفسي اقترحتها عليه إحدى مريضاته المصابة بالهستيريا، حيث طلبت منه أن يسمح لها بالتحدث عن جانبها العاطفي أثناء تنويمها، لأنها عند تنويمها تتذكر أحداث

[1] فيصل عباس، العلاج النفسي والطريقة الفرويدية، دار المنهل اللبناني، بيروت، (1)، 2005، ص22.

منسية بعدها تخف أعراض الهستيريا وهذا ما أثار فكر "فرويد" و"بروبر" وأضافا طريقة التحدث إلى التنويم المغناطيسي فنجحا نجاحا ملحوظا[1].

لكن بربر تخلى عن الطريقة بعد وقوع إحدى مريضاته في حين بعد أن قضى شوطا طويلا في علاجها، وهذا ما استفز "بروبر" وجعله يصف طريقته بالخطرة وتنازل بها إلى "فرويد" وحده.

كما وقع "فرويد" في مشكلة ذاتها لكنه لم ينزعج من الأمر بل استخلص منه دراسة عميقة وهي أن هؤلاء النسوة لا يعشقنه لشخصه بل إنهن يتخذنه بديلا عن موضوع حبهن الأول، إنهن ينقُلن حبهن لغيره إليه، فإذا داوم على معالجتهم متخذًا حياديا فإنه قد يستفيد حتى من هذا الحادث في عمله الشفائي وقد برهنت الحقائق خلال سنين عديدة على صحة رأيه مما مكن المحللين النفسيين من حقيقة نقل هذه الوقائع[2].

تطوير العلاج لدى فرويد:

رغم الصعوبات التي واجهها فرويد إلا أنه لم يتوقف عن هذا النجاح، بل استمر لسنين طوال يبحث إلى أن توصل لقناعة يترك طريقة التحليل المغناطيسي، وأن يتبع طريقة التحدث مع المحافظة على الاسترخاء والاضطجاع أثناء المحادثة، واكتفى بالتحدث عن متاعبه وأسبابها مع الإفصاح عن كل ما يجول خاطره وسميت هذه الطريقة بالتداعي الحر.

إلا أن فرويد لم يكتف بهذا على الرغم من النجاح الواضح مع الكثير من المرضى، واستمر في التفكير حتى وصل إلى اللاشعور، حيث أهمل فرويد مشكلة الشعور واهتم باللاشعور في نظره كان هذا الجزء في حياته العقلية لا يمكن سبر أعواره وارتياد مناهجه بمناهج علم النفس السائدة في أيامه، أي منهج الاستنباط أو المنهج التجريبي المعلمي وتبعا لفرويد أصبح علينا أن

---

[1] ينظر: بديع عبد العزيز القشاعلة، مدارس علم النفس، المركز السيكولوجي للنشر الالكتروني، النقب، فلسطين، 2021، ط1، ص43.

[2] فاخر عاقل، مدارس علم النفس، دار عالم الملايين، بيروت، (ط1)، 1968، ص92.

نبحث عن المصادر الأولية للصراعات العقلية في أعماق اللاشعور، فاللاشعور هو مستودع الآمال والآلام والرغبات المكبوتة التي تؤدي إلى ظهور الاضطرابات العقلية[1].

واعتمد "فرويد" في تحليله على اللاشعور لأنه يمثل الجانب الذي يحمل في ثناياه الرغبات المكبوتة.

مبادئ مدرسة التحليل النفسي:

تبنت هذه المدرسة مجموعة من المبادئ التي أعطتها جمالا وصيغتها في طابع خاص في جمال البحوث النفسية نذكر منها:

«- تعتمد هذه المدرسة على التحليل النفسي من أجل علاج الاضطرابات النفسية، وهذا التحليل يهتم بالتعرف على الدوافع والصراعات اللاشعورية.

- تعتبر الدوافع اللاشعورية السبب في الأمراض النفسية كالهستيريا.

- تبنى "فرويد" فكرة أن سبب الألم يعود إلى طرد الحوادث المريرة التي مرّ بها في الماضي وسماها بالكبت.

- ترى أن السلوك الإنساني محكوم بغرائز فطرية شعورية»[2].

ب- المدرسة السلوكية:

خلال الحرب العالمية الثانية ظهر مجموعة من علماء النفس في أمريكا أطلقوا على أنفسهم اسم السلوكيين، وكانت المدرسة السلوكية كمدرسة التحليل النفسي لا تهتم بالشعور، وكانت تشكك في قيمته، ومن أشهر روادها "واطسن" وكان اهتمامه الأساسي على الحيوانات[3].

---

[1] عبد الرحمان العيساوي، أصول البحث السيكولوجي، دار الراتب الجامعية، بيروت، ص43.

[2] ينظر: بديع عبد العزيز القشاعلة، دارس علم النفس.

[3] عبد الرحمن العيساوي، أصول البحث السيكولوجي، ص43.

كما اعتمدت السلوكية على النظرة الآتية في فهم السلوك البشري، وترى هذه المدرسة أن الحوادث النفسية سواء تعلق الأمر بالأحداث النفسية البسيطة أو المعقدة[1].

كما اعتمدت السلوكية في دراستها على المنهج التجريبي، وخصصت تجاربها على الحيوان ثم عممتها على الإنسان وبنت دراستها على السلوك الظاهري للكائن الحي لأنه قابل للقياس والملاحظة.

واعتبر السلوكيين علم النفس فرع موضوعي وتجريبي محض من فروع علوم الطبيعة، يهدف إلى معرفة السلوك وكيفية ضبطه كما أنه لا يعود على الشعور في تفسيره للنتائج المتحصل عليها، فالمدرسة السلوكية ترفض فكرة الاستيطان كمنهج لفهم الحياة النفسية، وترى فيه منهجا فلسفيا ذاتيا لا يمكن أن يقول للحياة النفسية، لذا وجب تعويض هذا المنهج بمنهج موضوعي يقوم على دراسة السلوك من خلال ملاحظته خارجيا.

إذ يمكن أن يتفق الباحثون في نتائجهم إذ بينوا هذا النوع من الملاحظات[2]، كما يعتبر السلوكيين أن ما نشعر به في باطننا لابد أن ينبعث كسلوك خارجي يعبر عما نحس به في أنفسنا، وبالتالي فالجانب الخارجي هو الوحيد الذي يمكنه تفسير ما في أنفسنا.

حيث أكد "واطسن" أن الحالات النفسية كالتعب والخوف والخجل ليست حالات باطنية فحسب بل هي انعكاسات خارجية كاحمرار الوجه أو اصفراره أو تراخي اليدين أو اضطراب الحركة عمومًا، وتذهب المدرسة السلوكية إلى أبعد من هذا إذ أننا نعتبر السلوك البشري ذا طابع فيزيقي، بمعنى أن الحالات الشعورية الداخلية تحركها جوانب طبيعية خارجية وتصدر عنها استجابات

---

[1] زروحي الدراجي، إشكاليات أساسية في مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار صبحي، غرداية، الجزائر، (1)، 2013، ص75.

[2] المرجع نفسه، ص75.

عضلية وغددية مختلفة[1]، كما أكد أصحاب المدرسة السلوكية على دراسة المثير والاستجابة وأن السلوك البشري سلسة من الأحداث يقوم بها المثير باستدعاء استجابة ما[2]. ومن رواد المدرسة السلوكية نجد العالم النفسي الروسي "بافلوف" الذي وصل بنتيجة مفادها أن التعليم يحدث نتيجة الارتباط بين مثير مصنوع واستجابة كانت لمثير طبيعي، وأسقط تجاربه على الكلاب بصفة حيوان غير عاقل، ونلخص أن التجربة الحسية هي مصدر المعرفة وبهذا تتفرع المدرسة السلوكية إلى أكثر من نظرية.

نظرية الاشتراط الكلاسيكي:

رائدها "بافلوف" بني هذه النظرية على ارتباط اللعاب للكلب في مزرعة كان يعمل بها، فوجد بافلوف أن المثير الشرطي صوت الجرس، يحدث استجابة شرطية هي إفراز اللّعاب إذ اقترن المثير غير الشرطي الطعام، وتفرغ الاشتراط البافلوفي إلى أربعة أنواع:

-المثير غير الشرطي:

يشير "بافلوف"إلى اللحم في تجربة اشتراط اللّعاب بأنه غير شرطي، وهذا المثير يُحدث استجابة بالثبات والاستقرار دون الحاجة إلى تدريب مسبق، وهذا بين الباحث أن هذا المثير فيه قدرة فطرية غير متعلمة لإحداث هذه الاستجابة[3].

- الاستجابة غير الشرطية:

تحدث هذه الاستجابة بواسطة المثير غير الشرطي حيث أنه يحدث في ثبات واستقرار، أّما الاستجابة غير الشرطية فتكون من نوع الاستجابات الانعكاسية إلى حد كبير، أي تصدر بسرعة أو بالأحرى تكون بطريقة أوتوماتيكية حين وقوع مثير غير شرطي[4].

---

[1] زروحي الدراجي، إشكاليات أساسية في مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص07.

[2] صالح حسني الداهري، مبادئ علم النفي الارتقائي ونظرياته، دار الصفا، عمان، ط1، 2008، ص225.

[3] ينظر: بديع عبد العزيز القشاعلة، مدارس علم النفس، ص281.

[4] زروحي الدراجي، إشكاليات أساسية في مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص76.

- المثير الشرطي:

هو المثير الذي يقوم به الاستجابة عند اقترانه الملائم زمنيا بالمثير غير الشرطي، فيظهر استجابة جديدة يصبح مشروطا يعرض المثير الشرطي، واشتق اسمه على هذا الأساس، ومن أهم ميزاته يجب أن يكون مثيرا في النطاق الحسي للكائن الفطري، وأن يكون محايدًا للفعل المنعكس[1].

- الاستجابة الشرطية:

تكون ناتجة عن مثير شرطي وتختلف هذه الاستجابة نتيجة المزاوجة بين مثير شرطي ومثير غير شرطي، وهنا نعتبر عملية المزاوجة الحدث الأساسي المحدد للاشتراط البافلوفي.

حين ينحل السلوك بما فيه الحيواني في نهاية المطاف إلى مجموعة من ردود الأفعال التي تقوم بها العضوية نتيجة تفاعلها مع المثيرات وعندئذ يصبح السلوك الخارجي انعكاس للكيان الداخلي[2]. وهنا نفسر السلوك الخارجي على أنه استجابة لفعل أو رد فعل نتيجة مثير ما، ولا ننسى أن المدرسة السلوكية تعتبر أهم المدارس النفسية ذات أثر واضح في المجال التربوي، حيث اعتمدت في أفكارها على تطبيقات تربوية من أجل المفاهيم: التعزيز، الثواب، العقاب، الإضفاء، تعديل السلوك وغيرها، وهذا ما جاء به "سكينر" في نظرية الاشتراط الإجرائي.

- نظرية الاشتراط الإجرائي:

رائدها "سكينر" كما أشرنا سابقا وهو عالم نفس أمريكي ينتمي إلى مدرسة "ثرونديك" الأب الروحي لعلم النفس التربوي، وهو أول من درس السلوك القصدي أو الإجرائي في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أسقط تجاربه على القطط وتوصل إلى ذلك من خلال قانون سماه "قانون الأثر" وصاغه "سكينر" على نحو: "ان السلوك محكوم بنتاجه وهذا يعني أن السلوك الملحوق بمكافأة فإنه

---

[1] زروحي الدراجي، إشكاليات في مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص76.

[2] المرجع نفسه، ص77.

يتكرر بشكل ملحوظ وكل سلوك لا يلحقه تعزيز يتناقض وهنا "سكينر" يختلف عن ثرونديك، لأنه يعتبر الرابطة بين المثير والاستجابة هي التي تقوى بالثواب بعد الاستجابة، فاهتمام "سكينر" كان على الاستجابات في حد ذاتها إلى مصدرها الفرد على على المثيرات القائمة في الموقف السلوكي، باعتبار أن العمليات السلوكية من مجموعة استجابات إجرائية لا تتوقف عند مثير محدد، كما يحدث في السلوك الاستجابي الذي تحدث عنه "بافلوف" وهذا لا يعني أن "سكينر" يرفض تأثر السلوك الإجرائي بالمثيرات بل أكد أن ما ينتج الاستجابة هي الذي بإمكانه تحديد احتمال ظهور السلوك المعزز[1].

ج- المدرسة القصدية:

ترى المدرسة القصدية أن القصد هو الحقيقة الأساسية في علم النفس، كما تضن أن الإدراك لا يتم إلا بالعاطفة والرغبة، فالمقصد من عواطفنا هو توجه الأفكار وحواسنا وذواتنا نحو موضوع معين، كما تعتبر المدرسة القصيدة العقل أنه آلة في يد العاطفة توجهه فيها تشاء.

والقصد الإنساني حقيقة لأمراءها، حتى علماء النفس الذي يقومون بإلغاءه من علم النفس، هم أنفسهم أشخاص لهم قصد أو مقاصد، فما من أحد يقرأ كتابات "تشنر" إلا ويلاحظ أن الرجل له قصد، وأنه فقط يستطيع هذا العلم أن يصف وصفًا واقعيًا[2]. فالشعور تقوده القصدية نحو موضوع ما حتى وإن كان وهميا، ولكن يشترط أن يكون متصورًا في الذهن وتعمل على تحقيقه في الواقع فالقصدية تنقلنا من التصوير الوهمي إلى الوجود الحقيقي، وهذا يتوافق على الحالة الشعورية، لأن القصد هو المعرفة وليس متوقفا عن العقل أو الحواس.

---

[1] ينظر: بديع عبد العزيز القشاعلة، مدارس علم النفس، ص32.

[2] زروجي الدراجي، إشكاليات أساسية في مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص241.

ولو تأملنا الاختلاف الحاصل في العمليات الإدراكية بين الأفراد لوجدنا مرجعه إلى عاطفة الناس وتعلقهم بالمعرفة، لأن الحواس والعقل ثابتة فيهم والمتغير هو حالتهم الشعورية فالإنسان يتفاعل مع المواضع تفاعله مع اللوحات الفنية والأضواء والأشكال، ويضرب لنا زعماء المدرسة مثالا على ذلك "لوحة جورنيك" وفي النهاية فإن تأثر الذات بالموضوع وتفاعلها معه هو طريق الإنسان إلى الكشف عن طريقة الموضوع[1].

إن حقيقة وضوح الاختلاف الموجود في المعارف منبعث من عاطفة الناس ويكون حسب تعلقهم بالمعرفة على عكس العقل والحواس فهما ثابتان يـُولدان نفس المعارف عند جميع الناس، والقصيدة في النهاية بقدر ما هي تجمع للعناصر التحليل والوصف، بقدر ما هي تداخل بين الموضوع والذات، والموضوع يقدم نفسه للذات كمعرفة، والذات بعد ذلك تضفي المعرفة على الموضوع، وكان لهذه التصورات أثرها في تطوير النظريات الإنسانية وتوجيهها توجيها موضوعيا.

إلاّ أن علماء النفس القصديين فهموا الذات الإنسانية من زاوية واحدة»[2]. فالذات الإنسانية مهما بلغت قوتها تبقى في حاجة إلى الموضوع الخارجي، وبالتالي لا يمكن عزلها فهو يوضحها ويـُقرب فهمنا لها ويبقى السؤال الوحيد عند إدراكاتنا ومعارفنا هو الحالة الشعورية التي تنتابها.

د- المدرسة الجشتالطية:

إن مبدأ علماء النفس الجشتالطيين هو عدم الفصل بين الإحساس والإدراك، لأنهم يرون أنه فطري خالص لا مجال للنقاش فيه، كما أن رؤية نقطة مضيئة في الظلام الدامس لا يعتبرونه إحساسا خالصًا وإنما إدراك، إذ أن النقطة شيء خارجي مستقل عن الذات المدركة بشكل معين.

---

[1] عبد الرحمن العيسوي، العلاج النفسي، ص 241.

[2] المرجع نفسه، ص 88-89.

حاولت المدرسة الجشتالطية تجاوز عيوب المدارس النفسية السابقة والمتصلة في ذاتها ومناهجها وفصلها وتجزئتها للظاهرة النفسية، فالظاهرة النفسية في عرف الجشتالطيين شبيهة بالمزيج الكيميائي الذي لا يمكن فصله لأن عناصره امتزجت ببعضها البعض لتشكل شكلا موحدًا، فدراستنا للشخصية تتطلب منا مثلا التدقيق في ملامح الوجه كارتفاع الحاجب واتساع العينين وفتح الشفتين، فهذه الملامح تشير إلى حالات عاطفية بسيطة، فإن جملت أعطت حالة عاطفية معقدة»[1].

لم يقتصر الجشتالتيون على الجانب النظري فقط بل برهنوا على أقوالهم بتجارب علمية، حيث ذهبوا إلى المخابر وأجروا التجارب، وتوصلوا إلى نتائج لفتت انتباه جميع علماء النفس واهتمامهم، فالجشتالتيون حاولوا فهم الكل على النحو الجزئي، وأكدوا على أن الجزء يتأثر بالكل الذي يحتويه إذ يكسب الجزء دلالاته ومعناه من الكل مثلا عند إظهار الجزء الأعلى من الوجه (العينين) ثم توسع نظرنا عن بقية الوجه نلاحظ أن العينين ذاتهما تبدوان وقد غيرت تعبيرهما فنجد أن شكل الوجه كامن في الوجه كله.

إن العلاج الجشطالتي على العكس من التحليل النفسي لا يضيف إلا القليل من التفسير الدينامي للأعراض النفسية، إنه علاج أكثر من نظرية، إنه فن أكثر من كونه نظام سيكولوجي، ولكنه مثل التحليل النفسي متضمن خلفية فلسفية[2].

ويرى أنصار هذه النظرية أن الجهاز النفسي يتكون من مجموعة من العوامل الدفاعية وتوظيف هذه العوامل في حال تعرض الشخص للضغط النفسي، ويختلف استعمال هذه العوامل من شخص لآخر حسب ميولاته، ومن بين هذه العوامل:

---

[1] عبد الرحمن العيسوي، العلاج النفسي، ص89.

[2] المرجع نفسه، ص265-266.

- الالتحام: هنا يتم التحالف والتلاقي والاتفاق مع جميع الناس.
- التهرب والانحراف عن المشكلة: الابتعاد عن مواجهة المشاكل.
- عكس المشاكل نحو الداخل: تحويل طاقات الشخص الغذائية نحو الداخل.
- الاستدخال: تتم في حالة عدم هضم بعض العناصر النفسية غير المهضومة المترسبة من خلال التربية والدين.
- الإسقاط: تكون بإضفاء مواقف الشخص وأحاسيسه وطباعه النفسية مع الآخرين[1].

ومجمل ما عناه الجشتالطيون بهذه القوانين هو أن الفرد ينزع إلى إدراك الأشياء بصورة كلية ومتوازنة وحسنة بفعل العمليات الفيزيولوجية الفطرية، لكن رغم الجهود التي يقوم بها الدماغ فالصورة ندركها كاملة ولو تخللتها فجوات أو ثغرات أو حتى لو كانت خطوط متقطعة كما تنزع إلى الربط بين النقاط الموجودة أمامنا على الورقة وإدراكها كشكل هندسي، وتؤلف بين الأشياء القريبة بعضها إلى بعض في صورة كلّية.

1-2- أعلام النقد النفسي:

أ- سيغموند فرويد: سيغموند شلومو فرويد المعروف بـ سيغموند فرويد" هو طبيب نمساوي من أصل يهودي اختص بدراسة الطب العصبي، ومفكر حر، يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي، وجعل لها مدرسة التحليل النفسي، اشتهرت في علم النّفس الحديث، وقد اشتهر فرويد بنظريات العقل واللاوعي وآلية الدفاع عن القمع وخلق الممارسة السرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المريض والمحلل النفسي[2].

---

[1] عبد الرحمن العيسوي، العلاج النفسي، ص277-278.

[2] موقع http//data-banaf.fr.112148/cb121744387

ولد فرويد في 06 مايو 1856م بفرايبورغ مورافيا، التي كانت تشيكو سلوفاكيار في ذلك الوقت وكان فرويد أكبر ثمانية إخوة ، الأم كانت الثالثة لأبيه، وكان أبوه تاجر صوف معروف، انتقل مع أسرته إلى فّينا عاصمة النّمسا عندما كان عمر فريد أربعة سنوات، وعندما أصبح عمره تسعة سنوات دخل المدرسة الثانوية وتخرج منها بامتياز عن عمر السابع عشر، ثم دخل كلية الطب بجامعة فّينا وتخرج منها بامتياز أيضا، وكان يمارس عمله كطبيب وقد تركزت أبحاثه على الحالات التي تأتيه إلى المستشفى، وتزوج من "مارتا بوناياز"[1].

نظرية سغموند فرويد:

استطاع فرويد أن يطور نظرية شاملة في الشخصية بصفة عامة، وبصفة طبيب نفسي، تعرف على الكثير من الاضطرابات النفسية من خلال تجربته واختلاطه الدائم بمرضاه، ومن أهم «الاضطرابات التي كان يتعامل معها مرض "الهيستيريا" وخصوصا لدى النساء»[2].

تأثر فريود في علاجه لمرض "الهيستيريا" بأعمال الطبيب الفرنسي المختص في الأعصاب "جان مارتن بجاركوت" الذي رأى أن أعراض الهيستيريا تتمثل في: الشلل، فقدان الوعي، الضعف يمكن أن تتشخص وعلاجها التنويم المغناطيسي.

على سبيل المثال المرضى الذين لديهم سيقان مملوءة بإمكانهم المشي ولكن هناك شيء يمنعهم من ذلك، وبرهن فرويد بأنه هناك خبرات لا شعورية تمثل حائزًا بالنسبة لرغبات الفرد تمنعه من القيام بسلوكيات معينة طالما أنه لا وجود لأصول بيولوجية للمرضى وكانت دراسة اللاشعور عند فرويد مركز نظريته في التحليل النفسي ورأى في نظريته القوى النفسية التي تتمثل في الرغبات والخوض والنوايا لها اتجاه معين بتصارع هذه الدوافع والقوى يتحدد السلوك الشخصي، فمثلا نجد

---

[1] علم النفس الشخصية، أبو السعد عبد اللطيف، أستاذ مساعد في جامعة مؤتة، دار أريد للنشر والتوزيع، شارع الجامعة بجانب البنك الإسلامي.

[2] ينظر: بديع عبد العزيز القشاعلة، مدارس علم النفس، مركز السيكولوجي للنشر الالكتروني، ص43.

مرضى الهيستيريا في غالب الأحيان يصاب بالشلل وفي المقابل تكون لديه رغبة في تحريك ساقه ولكن هناك قوى لا شعورية خفية تمنعه من ذلك[1].

أسس فرويد عدة نماذج لأجل دراسة الشخصية تتمثل في (النموذج الطبوغرافي، النموذج الغريزي، النموذج البنيوي) النموذج الطبوغرافي الذي صاغه سنة 1900م، وقسم من خلاله العمليات العقلية إلى ثلاث أنماط شعورية: الشعور ما قبل الشعور، اللاشعور، «ونبدأ حديثنا من الشعور:

- ❖ العمليات العقلية الشعورية: هي عبارة عن أفكار عقلانية تقع في مركز الوعي، وتكون هادفة.
- ❖ العمليات العقلية ما قبل الشعورية: هي عمليات غير شعورية تصبح شعورية في أي لحظة مثل معرفة لون الغرفة.
- ❖ العمليات العقلانية اللاشعورية: هي عمليات لا عقلانية وتكون مكبوتة لا يمكن الوصول إليها، أي بعيدة عن الشعور وذلك لتجنب الاضطرابات النفسية، وعلى الرغم من أنّ العمليات اللاشعورية مفيدة وبعيدة عن الشعور، إلا أنها غير كسولة لأنها غير معروضة شعوريا، فمن الممكن أنتشذب إلى الشعور والسلوك بوسائل وأشكال غير مرغوبة»[2].

ب- ألفرد أدلر: ولد في فينا في السابع من شباط 1870 لأسرة يهودية تعمل في التجارة وفي سن الطفولة أصيب "أدلر" باكتساح الذي منعه من المشي حتى السن الرابعة، وفي الخامسة كاد أن يموت بمرض ذات الرئة، ولهذا السبب قرر أن يكون طبيبا، وحصل على شهادة الطب في جامعة فّينا عام 1895، وخلال سنوات الدراسة انجذب إلى الجماعات الاجتماعية التي كانت من بينهم

---

[1] ينظر: فيصل عباس، العلاج النفسي والطريقة الفرويدية.

[2] ثائر أحمد الغماري والدكتور أبو شعيرة، سيكولوجية الشخصية، المكتبة الصيفية، الأردن، ط(1)، 2010.

زوجته "راسي انشتاين" والتي كانت ناشطة اجتماعية وتزوج في روسيا سنة 1897، وأنجبا أربعة أطفال، اثنين منها أصبحا أطباء نفسانيين[1].

نظرية ألفرد أدلر:

يعد "أدلر" الزميل الثالث لفرويد، ولا تختلف طريقته في التحليل النفسي عن فرويد، إلا أنها أكثر إيجازا، وتختلف اختلافا جذريا عن نظرية فرويد، فكل الأمور التي أولاها "فرويد" من الناحية الجنسية، اعتبرها "أدلر" من حالات شعور الفرد بالنقص ، ورأى بأنّ تحليل أفكار الفرد وفهمها يكون عن طريق حاجاته الذاتية الحاضرة فقط، ولم يعط أي أهمية لماضيه الطفولي على عكس فرويد الذي يرى أنّ الفرد ينمو وفقا للنظام الاجتماعي الذي يحيط به وليس بقوة قوى، وقد انتهج طريقه في تحليل الأحلام كأسلوب للاستقصاء النفسي، وكان يجلس المريض مقابلا له ويقوم بمواجهته خلافا لفرويد، ولا يتفق أدلر مع فرويد في تقييم الشخصية على بناءات متصارعة، فهو يعتبرها وحدة كلية لا يمكن تجزئتها، وتمت وحدتها من خلال النزعة التطويرية لتحقيق النمو[2].

2-الشخصية مكوناتها أنواعها:

2-1- تعريف الشخصية:

يرتبط تعريف الشخصية بنظريات مختلفة (نفسية – شخصية – تربوية)، فهي المجال الأوسع للدراسة، فهذا ما جعل تعريفاتها تختلف عن عالم وآخر، وكل حسب الرؤى التي ينتمي إليها.

فمفهوم الشخصية عند "أدلر" Adlr: يرتكز على مبدأ فهم شخصية الفرد الداخلية، مما يستلزم الكشف عن الإطار الاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان بصفته كائن اجتماعي، تبنى حياته

[1] محمد عبد الله والعماري، علم النفس التربوي وتطبيقاته، مكتبة المجمع العربي، عمان، ط(5)، 2010.
[2] ينظر: بديع عبد العزيز القشاعلة، مدارس علم النفس، ص (49-50).

من خلال المعايير الأخلاقية والثقافية والاجتماعية[1]، بما أنّ الإنسان محدد بالروابط والعلاقات الاجتماعية، فلا بدّ من فهم هذه العلاقات، ويعتبر "أدلر"أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية أثّرا على دوافع سلوك الإنسان وعلى تكوين فكره، ويتبنى شخصيته من خلال نشاطه الذاتي، كما ركز أدلر على موضوع علاقات الإنسان ووجوده الاجتماعي، وذلك من خلال الكشف عن العلاقة بين الشخصية والمجتمع، وكذلك الكشف عن العوامل الاجتماعية التي بها يتحدد سلوك الكائن البشري وميوله الاجتماعي.

كما اعتبر "أدلر" كل فرد واع، وكان له نظرة تفاؤلية جدًا، فيما يتعلق بالتقدم الاجتماعي، وكان مهمتا بالإرشاد المدرسي والعيادات، ومؤمنا بالقوة الخلاقة والمبدعة للفرد، وهذا ما يعكس فكره، بالرغبة الاجتماعية.

أّما "ألبورت Alport" فقد عرّف الشخصية «بأنها التنظيم الدينامي في الفرد، لتلك الأجهزة الجسمية النفسية، التي تحدد مطابقة الفرد في التوافق مع بيئته»[2].

ومعنى هذا أنّ مفهوم الشخصية عند "ألبورت" مرتبط ببيئة الفرد أي أن التنظيم الجسمي والنفسي للفرد، هو انعكاس لبيئته.

وبخصوص "إيزنك Eysenk": فقد عرفها أن: «التنظيم الثابت المستمر نسبيا لخُلق الشخص، ومزاجه، وعقله وجسده، وهذا التنظيم هو الذي يحدد تكيفه الفريد مع محيطه»[3].

وتفسير هذا أنّ الشخصية نسبية في تنظيمها وذلك حسب تغير خُلق الشخص وعقله وجسده، وهذا ما يضبط تكيف الفرد وبيئته.

---

[1] محمد عبد الله العماري، علم النفس التربوي، وتطبيقاته، مكتبة المجمع العربي، عمان، ط1،2010.05

[2] أسعد شريف الإمارة، سيكولوجية الشخصية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2014م-1435هـ، ص16.

[3] المرجع نفسه، ص16.

نأتي إلى "روباك Robek" الذي أرجع مفهوم الشخصية إلى «مجموع الاستعدادات المعرفية والانفعالية والنزعية»[1].

ويعني هذا أنّ الشخصية هي نتيجة التأثيرات الفكرية والنفسية للفرد ويضيف "عباس محمود عوض" تعريفا آخرا للشخصية وأنها: «وحدة متكاملة من الصفات تميز الفرد عن غيره، والوحدة المتكاملة كاللحن والموسيقى، مجموعة من وحدات صغيرة متفاعلة»[2].

بمعنى أنّ الشخصية هي التي تضمن تفرد الشخص عن الآخر، وذلك بمجموعة الصفات الخاصة به.

أما بخصوص "سيغموند فرويد" فقد أعطى تعريفا دقيقا للشخصية، لكونه مؤسسا لنظرية التحليل النفسي، الذي أولى الشخصية الاهتمام الأكبر: «فالشخصية الإنسانية حسب اعتقاده أنها تتكون من: الهو (Edo)، والأنا (Ego)، والأنا الأعلى (Superevgo)، أما الهو القدرة الغريزية التي تصرح أريد ذلك الشيء بدون ضوابط ولا محرمات ولا ممنوعات، والأنا الأعلى هو الضمير المثقل بالذنب الذي يقول لا تستطيع أن تنال ذلك الشيء، أما الأنا، فهو القوة العاقلة التي تقول دعونا نرى ما نستطيع أن نفعل لنحل الإشكال»[3].

2-2- مكونات الشخصية:

إنّ تفاعل العوامل "البيولوجية والنفسية والاجتماعية"، ولاسيما البيئية العائلية، ينتج لنا تكوينا خاصًا للشخصية ضمن علاقة تأثير وتأثر، وهذا بالرجوع إلى مرحلة الطفولة، كونها تحمل

---

(1) أسعد شريف الإمارة، سيكولوجية الشخصية، ص17.

(2) المرجع نفسه، ص17.

(3) المرجع نفسه، ص14-18.

التأثير الأكبر في إنتاج هذه العوامل عامة والشخصية خاصة كون هذه المرحلة تتميز بالتغير المستمر والتأثر بالوسط البيئي حتى نصل إلى مرحلة البلوغ التي تتسم بتوقف إيقاع التغيرات[1].

إضافة إلى "جانب الوراثة": الذي له دور أيضا في تكوين الشخصية، وما يفسر ذلك مرحلة تكوين الجنين، حيث تتكون شخصية الجنين من المعالم الأساسية للأم والأب.

بمعنى أن الشخصية في مرحلة الطفولة تكون متغيرة إلى أن تصل إلى مرحلة المراهقة التي تكون ثابتة.

ومما سبق يمكننا القول أنّ المكونات الأساسية للشخصية هي البيئة والوراثة والتكوين، دون فصل مكون من هذه الأخيرة عن الآخر وهذا ما يؤكده قول المؤلف "أسعد الأمارة" في تعريفه للشخصية: «والشخصية هي وجود الشخص في حضرة الآخرين وجود مستقل بذاته دون الآخر، وبحضوره معًا وجود قائم على الإنس والمؤانسة،لكي يعطي شكلا من أشكال التوافق والتعارف والتآلف الإنساني من خلال تعامله وما صدر عنه»[2].

2-3- أنواع الشخصية:

طبقا لعلماء النفس توجد عدة أنواع للشخصية، وتوجد صفات وخصائص تميز كل نوع من هذه الشخصيات ومنها:

أ- الشخصية الانبساطية:

يعتبر الانبساط في تعريفه على أنه «عكس الانطواء، وكلاهما نوع من أنواع الشخصية الإنسانية، ومن أهم سمات الانبساطي أنه: إنسان اجتماعي، واقعيّ التفكير، يميل إلى المرح، ينظر إلى الأشياء في محيطه كما هي، حيث قيمتها المادية الواقعية لا لأهميتها ودلالتها المثالية، وهو

---

[1] ينظر: أسعد شريف الإمارة، سيكولوجية الشخصية، 18-19.

[2] المرجع نفسه، ص19.

بذلك يتعامل مع الواقع الذي يعيشه دون خيالات أو تأملات، ويعالج أمر حياته بالممكن والمتاح من الطاقة الفعلية، وينجح في أغلب الأحيان في إيجاد الحلول التي يتوافق من خلالها مع البيئة الاجتماعية»[1].

معنى هذا أنّ الانبساط هو النفيض أو العكس لمفهوم الانطواء، فالشخصية الانبساطية تتسم بالنشاط والحيوية والمرح دون تزييف للواقع الحقيقي، مما يجعلها أقرب تصويرًا للواقع والمستقبل وقد وضع عالم النفس التحليلي (كارل يونغCarljung) «تقسيمات للانبساط والانطواء في الشخصية، ورأى أنّ الانطوائي يكون أكثر اهتمامًا بالأحاسيس منه بالأفكار الواقعية، بينما الانبساطي في غالب الأحيان قليل الإحساس في أمور حياته ذات صلة بالمشاعر المرهفة أو الإحساسات، إنه بمعنى آخر يتعامل مع الواقع كما هو بدون تضخيم أو إثارة عاطفية»[2].

بمعنى أن الشخص الانطوائي دائم الاستخدام للقلب وهو إنسان تقوده مشاعره وأحاسيسه، مقارنة بالشخص الانبساطي الذي يأخذ الأمور بواقعية ومنطقية، ويعيش حياته دون المبالغة في مشاعره وأحاسيسه، ويكون اجتماعيًا له مقبولة في المجتمع.

ب- الشخصية الانطوائية:

استطاع عالم الشهير (Carl Jung) كارل يونغ: «أن يضع في بداية القرن الماضي قطبي تقسيم للشخصية، هما، الشخصية الانطوائية والانبساطية، رغم أنّ معظم الناس، الأغلبية

---

[1] ثائر أحمد عباري، خالد محمد أو شعيرة، سيكولوجية الشخصية ، دار الإعصار العلمي، عمان الأردن، ط1، 2015، ص59.

[2] المرجع نفسه، ص59.

الساحقة منهم يتميزون بخصائص مشتركة "أي ثنائية" إلاّ أن البعض منهم كان يميل في تصرفاته وصفاته إلى الانطواء منه إلى الانبساط»[1].

ويكون هذا الاتجاه قريب من الجوانب المرضية غير الطبيعية «إنّ الشخصية الانطوائية، وبكل ما تحمله من صفات وسمات وخصائص هي شخصية حساسية المزاج، وقد تظهر هذه الحساسية بانفعال ظاهري سريع، رغم أنه قد يكبت انفعالاته إلى حد ما في نفسه أثناء وخلال التفاعل الحذر مع الآخرين، وهذا ما يدفعه إلى الابتعاد أكثر عن الاختلاط بالناس، وممارسة حياته في الواقع بشكل أكثر طلاقة وتحررًا، وتتشابه الشخصية الانطوائية إلى حد كبير مع شخصية أخرى، خصوصا الشخصية الشيزية الفصامية، من حيث الابتعاد والانطواء والانعزال»[2]. فهي لا تهتم بالعلاقات الاجتماعية وتتسم بالانفرادية والخصوصية، والبرود العاطفي والتجاهل واللامبالاة.

ج- الشخصية القلقة:

إنّ ظهور القلق في هذه الشخصية ليس وليد الصدفة، بل إنه نتيجة تراكم وتكاثر حتى كّون الشخصية، وبان على سلوكها «ويرى علماء النفس أنّ هناك تمييزا بين القلق المرضي والقلق الطبيعي، أو ما تظهره الشخصية من استجابات إزاء المواقف الحياتية المتعددة، ففي حالة القلق المرضي تبرز أربعة مظاهر مهمة وهي: أنه ذاتي خاص بالفرد، وشديد، ويدوم لمدة طويلة وأخيرا يأخذ شكل الموقف»[3].

وأّما الشخصية القلقة فإنّ الصفة الغالبة عليها هي شعور الفرد بعدم الارتياح وتوقع الخطيرة دائما أو توقع الأسوأ دومًا، هذا الخطر قد لا يكون محددًا من موقف بعينه، أو حالة

---

[1] مأمون صالح، الشخصية بناؤها، تكوينها، أنماطها، اضطراباتها، دار أسامة، عمان الأردن، ط1، 2008، ص 73-74.

[2] تأثر أحمد عباري، سيكولوجية الشخصية، ص62.

[3] المرجع نفسه، ص 69.

مواجهة معينة مع حدث أو شخص طارئ، إنما من مصدر ما غير واضح، أو ربما يكون التوقع مع مصدر واضح، لكن ردة الفعل دائما يكون أكثر شدة وقلقا للفرد حتى أنه يتعايش مع القلق ويعيش معه، ويكاد أن يشكل معظم يومه بل حياته»[1].

فهذه الشخصية يغلب عليها طابع الغضب، وهي مضطربة تعيش في جّو مليء بالخوف وعدم الارتياح، مع توقع حدوث المشاكل والمصائب بشكل مستمر، كّون هذه المشاعر السلبية أصبحت عادة ملازمة لهذه الشخصية.

ويدخل في تكوين هذه الشخصية تدخل فيه أسس وخبرات ومصادر يكون اكتسبها الفرد في مرحلة الطفولة ومن أبرزها:

❖ **الإيحاء:**

الطفل يتقبل الأفكار التي تنجم في ذات نفسه دون تحقق أو إيحاء «فكلنا نعلم أنّ الطفل سريع الإيحاء، وسريع التقبل له وخصوصا تلك المواقف التي تنتج عن التحسس الزائد عن الموضوع أو من موضوع ما يعينه، أو لا أساس له في الواقع حتى تتكون الاستعدادات التكوينية لهذا النمط منن الشخصية»[2].

معنى ذلك أنّ الإيحاء هو الركيزة الأساسية التي تبنى عليها شخصية الفرد، وهي انعكاس لتصرفاته التي تكون مطبوعة في ذهنه الصغير وذلك بفعل التقليد.

❖ **الحرمان والغيرة:**

وتظهر هذه المشاعر عند الطفل عندما يعاني من الحرمان لفقدان أشياء اعتاد وجودها «فعندما لا يستطيع الطفل إشباع حاجاته ويحرم منها وخصوصا العاطفة والحنان والكفاية من

---

[1] ثائر أحمد عباري، سيكولوجيا الشخصية، ص69.

[2] المرجع نفسه، ص71 .

الإشباعات المادية، يتكون لديه الاستعداد لهذا النمط من الشخصية، فشعور الطفل بأنه محروم من العطف ومن الاستجابة الوالدية الكافية التي تدعم حياته، يؤدي ذلك إلى الشعور لديه بعدم الأمان والاطمئنان»[1]، ومعنى هذا أنّ المشاعر تكون لوحة تحكمها عند الوالدين اللذان يضمنان عدم وجودها.

❖ **التهديد والوعيد:**

التهديد بيت الرعب في نفسية الطفل: «فكثيرا ما يلجأ الآباء إلى سلوك يتسم بالتهديد والوعيد والإيذاء أو التلويح باستخدام العقاب لأي خطأ يرتكبه الطفل، فيصبح حينئذ تحت طائل التهديد وتوقع الخطر والإيذاء أو أنه محفوفا بالعقوبة من أي فعل يقوم به في بيته وإزاء ذلك يكون البيت الذي يعيش فيه مصدر قلق وليس مصدر أمان»[2].

ومعنى ذلك أن أسلوب التهديد ليس أسلوبا إيجابيا لتخويف وتسوية تصرفات الطفل بل على العكس هو تصرف ينمي روح العدوان والقلق عند الطفل ويولد الشك بوجود الخطر في كل حين، لذلك لننشئ بشخصية طبيعية خالية من مشاعر الخوف والشك لابدّ من التخلي عن أسلوب التهديد والوعيد عند الطفل.

د-الشخصية المبدعة الابتكارية:

الشخصية المبدعة هي شخصية فنانة في حدّ ذاتها، تتميز بروح الحيوية، خيالها واسع جدًا تستطيع إدراك الثغرات، وهي شخصية ذكية مرنة، مثابرة في نظر علماء النفس، كما أنها تحمل ثقة كبيرة في نفسها مما تجعلها قادرة على تحمل المسؤولية، كما يتحدث الناس كثيرا عن الذكاء

---

[1] ثائر أحمد عباري، سيكولوجية الشخصية، ص72.

[2] المرجع نفسه، ص72.

والتفوق، والموهبة والإبداع والعبقرية والابتكارية وما إلى ذلك من مفاهيم ومصطلحات وأحيانا تدخل المعادلات في حساب نسبة الذكاء وقياسه[1].

هـ - الشخصية الهيستيرية:

هي حالة غير طبيعية، مختلفة لدى الأشخاص وتنجذب نحو المبالغة في وصف المواقف والأشخاص، وهذا ما يؤدي إلى الاكتئاب وبالتالي أفساد العلاقات وتحطيمها كليا، بمجرد سماع لفظة هستيريا يتكون لدينا جميعا اختلاط بين كل ما هو واقعي ولا واقعي، وتظهر هذه الشخصية في كل من المرأة والرجل دون استثناء من خلال مجموعة من الأعراض تتنوع وتتفاوت شدتها من شخص لآخر «رصدها علماء النفس في مجموعة من الصفات منها:

- حب الذات والاهتمام بها؛
- محاولة جذب اهتمام الآخرين وانتباههم؛
- المباهاة وحب الظهور؛
- الاتكال على الآخرين في المسؤولية؛
- القابلية للإيحاء والتأثر بالآخرين والأخبار المثيرة وتفاعلهم القوي مع هذه المثيرات؛
- الاستعراضية وحب الظهور؛
- الميل الشديد للتمثيل؛
- القابلية للمبالغة والكذب؛
- الانفعالات السريعة والسطحية معًا؛
- التكون حسب الموقف؛
- صخالة المشاعر وتبدلها؛

[1] ينظر: ثائر أحمد عباري، سيكولوجية الشخصية، ص73.

- الفشل المستمر في الحياة الزوجية وعدم التوافق»[1].

فالشخصية الهستيرية تحب الظهور وتميل إلى المبالغة في طريقة كلامها ولباسها للفت الأنظار، وهي سريعة التأثر بالآخرين، «ومن الملاحظ في نمط الشخصية الهستيرية أن تكوينها الجسمي يميل إلى النحافة وصغر الحجم وهو ما يطلق عليه التكوين الواهن، ولكن تكوينات جسمية أخرى تظهر فيها الشخصية الهستيرية أيضا»[2]، وبالتالي فهي تشمل كل ما هو ذاتي وتفسر الأمور بذاتية.

وأهم ما يتميز به أصحاب الشخصية الهستيرية هو سيطرتهم على المواقف من خلال تجردهم من شخصيتهم الهستيرية وحصولهم على شخصية أخرى تتناسب مع كل الظروف المتاحة وهذا ما نجده غالبا عن الممثلين، فالممثل أو الممثلة لهم القدرة على التجرد من الشخصية الحقيقية وتقمص الشخصية المطلوبة لفترة طويلة وببراعة تامة، «فالشخصية الهستيرية لها قدرتها على تقمص الشخصية التمثيلية واندماجها مع الشخصية التي تقوم بالدور عنها ويتطلب انفصالها عن شخصيتها الأصلية وهو ما تتميز به الشخصية الهستيرية كما يقول علماء النفس»[3].

وهنا نقول أن الشخصية الهستيرية عبارة عن اضطراب يتسم بتصرفات درامية ومبالغة في الانفعالات لجذب الانتباه ليكون موضوع اهتمام الآخرين.

و - الشخصية العدوانية:

الشخصية العدوانية هي سلوك سلبي يتعمد الأضرار الجسدية والعاطفية دون مراعاة أي ضوابط أو مشاعر الطرف الآخر، كما تنطوي على تدمير العلاقات الاجتماعية والشخصية، سواء بطريقة واضحة أو سرية، فيتشابه سلوك «الشخصية الاجتماعية أو الشخصية غير المتزنة انفعاليا

---

[1] ثائر أحمد عباري، سيكولوجية الشخصية، ص 50-51.

[2] المرجع نفسه، ص52.

[3] المرجع نفسه، ص53.

حيث تستجيب بنوبات وتستمر بسهولة الإشارة واللجوء للتدمير لمجرد الإحباط البسيط وحتى تأخذ الاستجابة بشكل التذمر المرضي، وسلوكها دائما يعبر عن الاعتماد اللاشعوري الكامن، ويأخذ عدوانها شكل نشر الإعلانات والقيل والقال والقذف بالأشياء»[1].

وهنا نقول أن الشخصية العدوانية ترتبط بالعدوان وكل ما يؤدي إلى التخريب والتدمير والأذى، ومن علاماتها: العناد، العبوس، الاستياء، اللامبالاة، التسويق، الفشل المتكرر في إنجاز المهام الموكلة للفرد.

ي - الشخصية الاعتمادية:

من الصعب جدا فهم الناس بدقة تامة، كما من الصعب أيضا تفسير تصرفاتهم على الوجه الصحيح، لأن هناك أنواع عديدة من النّاس في الحياة ولكل منهم شخصية تميزه عن الآخر، وطريقة مختلفة في التعامل معه عن طريق الآخرين، فهناك نوع من الناس مثل الكتاب يمكن قراءته بسهولة، وآخر كالقُفل يضل مغلقًا حتى مع نفسه، حتى وإن بدا للمتخصصين على وفق منهج دراسة سيكولوجية للشخص وعلم نفس الأعماق شكلا ذو أبعاد واضحة إلا أن العامة من الناس يرون غير ذلك.

فقد «ظل الشخص الاعتمادي يحمل في داخله التدليل الزائد كأسلوب في التعامل، وظل يرمي بكل ثقله على أمه التي كثيرا ما تكون هي السبب في إغراءه وهو كبير ناضج، ثم تقوده الحياة بعد أن ترك حضن أمه وهو صغيرًا يافعًا ومراهقا وبالغًا إلى اعتماديًا كاملا على المرأة الجديدة الأخرى التي حلت بديلا عن الأم، ولكن بصورة أخرى وهي الزوجة، فهي تحركه بالاتجاه

[1] مأمون صالح، الشخصية بناؤها، تكوينها، أنماطها، اضطراباتها، ص79.

الذي تريده كيفما تشاء، وأحيانا تجزع من تصرفاته الطفيلية حينما تطلب منه شيئا ويذهب إلى أمه ليستشيرها بموضوع خاص جدًا يتعلق بالزوجة ولا علاقة له بالوالدة»[1].

فهذا يعني أن الشخص الاعتمادي يجعل أنه دائما في المقدمة وهو بعدها، وهنا يفتقد إلى استقلاليته الذاتية ويعتمد على أمه من أكثر من اللاّزم في الحصول على الشعور بالأمان والراحة والدعم العاطفي والنفسي.

«وصاحب هذه الشخصية خائف، منسحب من أي مواجهة أو موقف يمكن أن يثير العداء، فهو هياب يتراجع بسهولة وهو سلبي أيضا في اتخاذ القرار ويلجأ إلى الاستشارة حتى في توافه الأمور ومن الأم أولا وهي تقّرر ذلك دائما، وإن حلّت الزوجة بديلا تكون هي الأخرى صاحبة القرار وهو المنفذ، فنراه يرتبك عندما يكلف بأي مجهود أو يواجه أي إجهاد أو مشكلة»[2].

فالشخص الاعتمادي لا يمكنه اتخاذ القرارات دون الرجوع إلى الآخرين، فهو شخص عاجز، سجين لإبداعاته وتخيلاته وهذا راجع لاعتماده على الآخرين فهو لا يملك القدرة حتى على البقاء منفردًا لفترة طويلة، وإذا حدث ذلك تبدأ أعراض الانزعاج العصبي بالظهور عليه والتي قد تصل لدرجة الهلع وهذا لاعتماده على الآخرين في كل شيء.

ز- الشخصية الناقصة:

تعد الشخصية الناقصة من أكثر الشخصيات حساسة في تعاملها مع الناس ومع نفسها في نفس الوقت، حيث تمتاز بالضعف والاستحقار من طرف المجتمع، إضافة إلى عدم تحملها لمسؤولياتها، و«وكثيرا ما يتحدث الناس عن أشخاص لديهم عقدة نقس واضحة، وتبدو بشكل ظاهر وملموس لعامة الناس، لا للمتخصصين في علوم النفس فحسب، بل لدى أبسط الناس، وهذه العقدة

---

[1] ثائر أحمد عباري، سيكولوجيا الشخصية، ص67.

[2] المرجع نفسه، ص 105.

–نقص- هي سلوك، ويعرف السلوك بأنه كل ما يصدر عن الفرد من استجابات مختلفة إزاء موقف يواجهه وإزاء مشكلة يحلها أو قرار يتخذه أو مشرع يخطط له، أو أزمة نفسية يكابدها، فالسلوك إذًا هو مفتاح معرفة الشخصية بما تحمل وما يدور بداخلها، وهو يعتمد أيضا على تقدير الفرد بقيمته ولأهميته، بما يشكل دافعًا لتوليد مشاعر الفخر واحترام النفس أو عكسه، مثل الشعور بالنقص والذل والضآلة»[1].

وقد يستطيع الكثيرون منهم التقليل من مظاهر النقص فيهم كمحاولة إرجاع ثقته بنفسه ومواجهة الأمور بالصبر والتحمل وعدم الاستسلام للواقع وإبعاد اليأس فهو سبب ضعف الشخصية.

«ومن مظاهر الشخصية الناقصة هي كون صاحبها لا يستطيع توفير القدر الكافي من الاستجابات الضرورية في مجال العاطفة، والحركة التفاعلية في العلاقات الاجتماعية، وبهذا فهو يعاني من عجز دائم في مواجهة التزاماته الحياتية فمن أسرته وعائلته الأوسع أو في مجتمعه، وهو سبب هذا العجز يجد نفسه مضطرًا لاتخاذ مرتبة أدنى في التعامل مع الآخرين، ويقبل لنفسه مرتبة الخضوع والخنوع»[2]. فهي شخصية لا يمكنها اتخاذ القرارات، تفتقر للثقة بالنفس، يصعب عليها الاندماج في المجتمع، ومن مميزات هذه الشخصية أنها تقوم بـ:

«- استحقار ذاته أو عدم معرفة الإجابة الصادقة حتى عند حصول الإطراء والثناء؛

- الشعور بالذنب دائما، حتى ولو لم يكن هناك علاقة بالخطأ؛

- الاعتقاد "لاشعوريا" بعدم الاستحقاق لهذه المكانة أو العمل؛

-الميل إلى سحب أو تعديل رأيه خوفًا من سخرية أو رفض الآخرين؛

الاحتمال المتزايد للاكتئاب؛

---

[1] ثائر أحمد عباري، سيكولوجية الشخصية، ص57.

[2] المرجع نفسه، ص106.

- القلق والتوتر؛

- تبني التحصيل الدراسي؛

الشعور الدائم بالدونية»[1]، فهي شخصية ضعيفة، تفتقد الثقة بالنفس وتنظر لنفسها نظرة ناقصة دونية.

[1] ثائر أحمد عباري، سيكولوجية الشخصية، ص107.

الفصل الثاني

البعد النفسي للشخصية في رواية رسائل من تحت الأرض لفيودور دوستويفسكي:

الملامح النفسية لشخصية دوستويفسكي في الرواية

نبذة عن رواية رسائل من تحت الارض

حياة فيودور دوستويفسكي

ملامح شخصية بطل الرواية

نقاط التقاطع بين شخصية دوسويفسكي و شخصية بطل الرواية

العلاقات النفسية بين شخصيات الرواية

إن أكثر الأعمال انفتاحًا على المنهج النفسي في العصر الحاضر هي الأعمال الروائية، بحيث يفصح فيها الروائي عن العديد من غرائزه وطباعه ويصيغها على شخصيات روائية، ويعمل في هذه الحالة على التحليل النفسي على وضع وإزالة النقاب على تلك الرموز التي عاد إليها الروائي من أجل تحرير خطابه ورسائله وغاياته، بواسطة عمل الرواية الذي يقدمه للقارئ، وعليه فإن المنهج النفسي انفتح على أعمال روائية بوجه خاص ومحاولة اكتشاف مكبوتات الروائي من خلال ما يكتبه بين سطور روايته، بمعنى يزيل الغموض ويقوم هذا الأخير بتوضيحها وتقديمها للقارئ.

فالرواية تملك قدرة خاصة على جذب القارئ للغوص في أعماقها وتجعله كأنه في داخلها يعيش أحداثها حدثا بحدث، وموقفا بموقف، وللراوي قدرة ومهارة فائقة تجعل من شخصيات روايته كأنها حاضرة معنا عند قراءتها، ويجعل من الواقع الذي يتخيله الواقعالذي نعيشه فعلا، ويكون ذلك بالغوص في الحياة الداخلية لهذه الشخصيات وذلك من خلال سرد انفعالاتهم وتغيراتهم السيكولوجية وسلوكياتهم، أي وصف العالم الداخلي لهم.

1- الملامح النفسية لشخصية فيودور دوستويفسكي في رواية رسائل من تحت الأرض:

1-1- نبذة عن رواية رسائل من تحت الأرض:

نشرت هذه الرواية لأول مرة باللغة الروسية سنة 1864م، وفي فترة وجيزة حصلت على شهرة واسعة حول العالم، وترجمت إلى عدة لغات كالإنجليزية والعربية، قام دوستويفسكي بتقسيم روايته إلى قسمين: القسم الأول يتكون من إحدى عشر فصل وهنا يناقش الكثير من قضايا المجتمع كالفروق الطبقية وانعدام الأخلاق، أما القسم الثاني فتبدأ فيه أحداث القصة ويقوم الكاتب بالتعريف ببطل الرواية، وهو ذلك الشخص الذي يكره الجميع ويحتقرهم حتى إنه يحتقر نفسه.

تحكي رواية رسائل من تحت الأرض عن موظف حكومي متقاعد يقرر العزلة عن العالم «أنا على هذا الحال عشرون عامًا أما الآن فإنني في الأربعين، لقد كنت موظفا حكوميا، إلا أنني لست كذلك الآن، كنت موظفا شديد الخشونة لأنني كنت أجد لذة قصوى في ذلك»[1].

في هذه الرواية يرسل دوستويفسكي العديد من الرسائل المشفرة والمزعجة في الآن نفسه لقرائه، وبهذا المعنى فإن الرواية تضع القارئ أمام واحدة من السمات الكونية في الكآبة الروائية: (الحياة/الموت) وهي الموضوعات الجوهرية بجميع كتابات دوستويفسكي إذ منذ البداية وصولا إلى النهاية النصية تطفوا صفة (الحياة/الموت) فوق السطح: «لقد فقدنا صلتنا بالحياة إلى درجة أننا لا نملك أحيانا إلا أن نشعر بالاشمئزاز من "الحياة الحقيقية" ، ولهذا فإننا نغضب حين يذّكرنا النّاس بذلك، بل إننا ذهبنا بعيدا جدًا في هذا وصرنا ننظر إلى "الحياة الحقيقية"، باعتبارها عبئا ثقيلا ونحن جميعا متفقون على أن "الحياة" كما نجدها في الكتب هي أفضل بكثير، ولماذا نحدث كل هذه الضجة بعض الأحيان؟ لماذا نخدع أنفسنا؟ إننا أنفسنا لا نعرف ذلك»[2].

كما تتوزع الرواية إلى قسمين، قسم أول وهو تحت الأرض وفيه يحكي بطل الرواية عن حياته الشخصية ونفسيته المكتئبة، التي تركه الكل بسببها وتعكر صفو كل من حولها.

أما القسم الثاني فهو مهداة إلى الثلج الندي، وفيه يحكي البطل عن بعض الأحداث التي عاشها في حياته فعرض لنا الأحداث التي دارت في القائمة مع الضابط وأصدقاء الدراسة وبائعة الهوى ليزا، فتكونت لديه أفكار عديدة، ففي كل موقف يشهد القارئ الاحتجاج وعدم الرضى عن الواقع، كما عرف أنه يحتقر الرياضيات ولا يريد ان يعيش طراز داروين، ولا يريد أن يحصر حياته

---

[1] دوستويفسكي، رسائل من تحت الأرض، تج: أنيس زكي حسن، ط(2)، دار النشر الأهلية للنشر والتوزيع، 2017، ص17.

[2] المرجع نفسه، ص199.

في 2+2=4 فهنا يطرح التساؤل الآتي في روايته «ما هو الإنسان بدون رغباته؟ بدون حرية إرادته وبدون اختياره؟»[1].

وعند الغوص في أعماق الرواية، يتضح أن الكاتب لم يُعط اسمًا لبطل الرواية وفضل تركه مجهولاً، بل ركّز على مواقفه حول الواقع الذي يعايشه ويعبر عنه بفلسفته التي تتعلق بحرية الإنسان المطلقة المنبعثة من ابتكاره، ليثبت قوانينه العقلية والمنطقية، ثم يأتي إلى تغيير الأفعال البشرية بين ما هو خير وشر، ثم يتوقف عند الإنسانية ويبين كيف يكون الإنسان وهو في أشد قوته مقارنة بالإنسان الذي تسلب منه إنسانيته ويهمش ويصبح عاجزًا عن كل شيء وهنا ينتقل من الحياة إلى اللاحياة[2].

ثم يصطدم بالقوانين الطبيعية والرياضيات معلقًا على نظرية داروين «أصل الإنسان من قرد» وأوضح أن عليك أن توافق إلا إذا أثبت عكس ذلك، وينهي روايته بمجموعة من التساؤلات عن الرجل الوهمي إضافة إلى محاولته إسقاطه على المجتمع.

1-2- حياة فيودور دوستويفسكي:

ولد فيودور دوستويفسكي في 11 نوفمبر عام 1821، بموسكو والده كان طبيبا عسكريا، من أصل نبيل تنحدر أمه من أصل فلاحي بموسكو، وهو الابن الثاني لوالديه، وترعرع في منزل العائلة قرب مستشفى "ماريانسكي للفقراء" والذي يعتبر حيًّا فقيرا من الطبقة الدنيا على طرف موسكو، كان دوستويفسكي خلال لعبه في حديقة المستشفى يشاهد المرض المتألمين والذين يعتبروا أسوأ المرضى حظًا، لأنهم من الطبقة الفقيرة[3].

---

[1] الرواية، ص59.

[2] ينظر: مقدمة الرواية، ص 130.

[3] ينظر :المرجع نفسه، ص06.

كان والد "فيودور دوستويفسكي"، رجلاً قاسيا، وأبا متطلبا، وصاحب مزاج عنيف، وفي أحيان كثيرة كان يوصف بأنه مهووس عمل، وقد فرض هذا الانضباط الصارم على أولاده في المنزل الذي كان باردًا وكئيبًا.

أسلوب الوالد التقشفي واضطرابه العصبي، من نوبات الغضب التي كانت تنتابه من حين لآخر، كما أنّ انغماسه في الكحول زاد سوداويته، والمحّو أنّ تربيته الدينية جعلته يعتقد أنه ممن اختارهم الله «كان أبوه غليظ الطباع، إضافة إلى أنه كان مريضا بالصرع، والذي أورثه إلى ابنه دوستويفسكي، وكان مدمنا على الخمور، سريع الانفعال، وكان له عدة مواقف مؤثرة مع ابنه، خاصة حكاية تسلط الابن في التعامل مع أبنائه التي كانت تظهر عندما يعود من عمله، فيأمر أولاده بالجلوس بصمت مطلق، وكان يأمرهم بالوقوف إلى جانبه بالتناوب، لإبعاد الذباب الذي يقترب منه وجهه»[1].

طفولة دوستويفسكي الكئيبة، والحالة الجدّية المفرطة التي فرضها والده، أعطت انعكاسا في كل أعماله الأدبية، التي اتسمت رغما عنه بالعاطفية والعصبية، مع أنّ والده لم يبخل عليه هو وإخوته بالتعليم المميز في المدارس الخاصة فإننا لا يمكن أن نلمس أدنى دليل في كتابات دوستويفسكي على أنه قد عاش طفولة سعيدة «تلقى فيودور دوستويفسكي تعليمه في البدايات على يد والديه، ومربيته، وعندما بلغ سن الثالثة عشر أرسله والده إلى مدرسة خاصة، وعند بلوغه عمر الثامنة عشر، عام 1839، التحق بمدرسة عسكرية في مدينة "سانت بطرسبرغ الروسية"»[2].

درس دوستويفسكي الهندسة على عكس رغبته، ليصبح مهندسًا عسكريا، لكنه كره المدرسة وأحبّ الأدب، وبعد انتهائه من دراسته في الهندسة، حصل على وظيفة مهندس ملازم لكنه كان

---

[1] مقدمة الرواية، ص06.

[2] أماني المشاقبة، نبذة عن دوستويفسكي، أدباء وشعراء، تد: أحمد بني عمر، 29 مارس 2022، 12:37.

مشتتا بسبب حبه للأدب، وهكذا ابتعد عن مهنته التي درسها وتدرب عليها، وتفرغ تماما للكتابة وقد نشرت أول ترجمة له في صيف عام 1843، وهي ترجمة لرواية "أوجيني غراندیت" للأديب الفرنسي "بلزاك".

رغم أنه نشر عدة ترجمات في هذا الوقت، فإنّ أيا منها لم يكن ناجحا بشكل خاص، ووجد نفسه مفلسا، وتظهر خطاباته الأولى أنه كان شابا متحمسا يفيض بالحيوية أو أنه كان يعاني اضطرابات عقلية أيضا[1].

شهدت حياة دوستويفسكي بعضا من التجارب المضطربة، ففي عام 1847 انظم إلى ما يشبه "منظمة ثورية" تسمى جماعة التفكير المتحرر،وفي عام 1849 ألقي القبض على أعضاءها وبعد قضاء دوستويفسكي ثمانية أشهر بالسجن حكم عليه بالإعدام، لكن هذا الحكم خفف إلى سجن أربع سنوات، وأربع سنوات من الخدمة العسكرية القصرية في سبيريا، لكن دوستويفسكي شعر في مرحلة معينة أنه لم يعد لديه سوى لحظات قليلة ليعيشها، لم ينسى أبدا ما شعر به في تلك التجربة[2].

يحكي دوستويفسكي لزوجته عن تجربة حكم الإعدام تلك وصولا إلى الحكم بالتخفيف إلى النفي فيقول: كنت واقفا في الساحة أراقب بفزع ترتيبات الإعدام الذي كان سينفذ بعد خمس دقائق، كلنا في قمصان الموت موزعين على مجموعات من ثلاثة محكومين، وكنت الثامنة في التعداد ضمن المجموعة الثالثة، أوثق الثلاثة على الأعمدة وبعد دقيقتين يطلق الرصاص على المجموعتين

[1]أماني المشاقبة، نبذة عن دوستويفسكي، أدباء وشعراء.

[2]ينظر: مقدمة الرواية.

الأوليتين ويأتي دوري، يا إلاهي ما أشد رغبتي في الحياة تذكرت كل ماضيّ الذي هدرته وأسأت استخدامه...في اللحظة الأخيرة أعلنت وقف التنفيذ[1].

عمل دوستويفسكي في تحرير مجلة "تايم" مع أخيه ميخائيل وكتب عددًا من الأعمال الروائية لكسب المال في عام 1861، نشر كتاب مذكرات من البيت الميت كما يترجم أحيانا «ذكريات من منزل الأموات» وهو عمل روائي مستمد من تجربته في السجن واتسمت حياة دوستويفسكي خلال هذه الفترة بتدهور الصحة والفقر والتجارب العاطفية المعقدة، وسافر خارج البلاد بين عامي 1862 و1863 فرارا من دائنيه وللعلاج ولعب القمار، وبعد موت أخيه توقفت مجلته عن الصدور، وهذا هو السبب الأول في إفلاسه[2].

توفيت زوجة دوستويفسكي الأولى عام 1864 وتزوج بعدها في العام التالي من "آناغريغوريفنا شنيتكينا" التي كانت امرأة عملية ومتزنة على عكس زوجته الأولى وأيضا عكس عشيقته وما من شك أن الفضل يعود إليها في حد كبير في توفير الظروف التي ساعدته على العمل بتوليها مسؤولية العديد من المهام العملية التي كان يكرهها ولم يتمكن من أدائها يوما كما ينبغي، كانت آنا قد ساعدت دوستويفسكي عندما عملت معه سكرتيرة أثناء كتابة روايته "المقامر" وفي العام التالي تزوجا وكانت "آنا" تصغر دوستويفسكي بخمسة وعشرون عاما وقد اضطرت لبيع ممتلكاتها الشخصية الثمينة لتغطية ديون زوجها، ففي مذكراتها تقدم لنا شخصية دوستويفسكي في تعقيداتها وشمولها، فقد شهدت مراحل مهمة في حياته، فبعيدا عن طقوس كتابة أعماله التي روتها أيضا، فقد ذكرت لنا تفاصيل صغره خارج روسيا.

---

[1] ينظر: آناغريفوريفنا دوستويفسكي، مذكرات زوجة الكاتب دوستويفسكي، تر: خيري الضامن، دار الهدى، ط1، 2015، ص08.

[2] ينظر: مقدمة الرواية، ص09.

وكتلك الصعوبات التي عانوها معا، ففي وقت وفاة ابنة دوستويفسكي كان مضطرا للكتابة ليوفر قوت يومه كما كان يرهنان أحيانا أثاث البيت لتوفير الطعام لدرجة أن دوستويفسكي قد أصيب بالحمى أكثر من مرة بسبب رهنه معطفه لدى أحد أقربائه ليحضى بالمال لأسرته، وغيرها من مآسي هذا الكاتب[1].

بعد وفاة أخيه وتوقف مجلته عن الصدور، فأسرع بإنجاز روايته "الجريمة والعقاب"...وقامت "آنا" بتسيير أمور زوجها المالية، وبالدفاع عن حقوقه لدى نشر روايته الجديدة فما ساعده على الحصول على المال مقابل أعماله الأدبية، وتعهد لها مقابل ذلك بالتخلي عن القمار، وقد أوضح ذلك في روايته "المقامر" والتي صدرت عام 1866[2].

بعدها سافر دوستويفسكي إلى مدينة "ستاريا روز" بشمال غرب روسيا التي أمضى فيها أعوامه الأخيرة الثمانية، وكانت مرحلة مثمرة في نتاجه الأدبي، حيث أصدر رواية الشياطين عام 1827، والمراهق عام 1875، و"الإخوة كرامازوف" عام 1880، فذاعت شهرته في أنحاء روسيا وخاصة بعد إلقاء كلمته المشهورة في مراسيم افتتاح تمثال الشاعر الروسي "ألكسندر بوشكين" في موسكو[3]. وهذا ما ورد أيضا في مذكرات زوجته آنا غوريغوريفنا وبعد دخوله في العقد الخامس من عمره أتيح له العودة للحياة من جديد ومرة أخرى، وجاء في صورة عودته لوطنه العزيز الغالي روسيا.

---

[1] ينظر: آنا غوريغوريفنا دوستويفسكي، مذكرات زوجة الكاتب دوستويفسكي، تر: خيري الضامن، دار الهدى، ط1، 2015، ص08.

[2] مقدمة الرواية، ص09.

[3] المرجع نفسه، ص09.

وأخيرا نشرت أعماله وآمن به الكثيرون من الناشرون، وأصبح ينظر له نفس النظر لـ "تولسوي"و"تورجينيف" بل أنه كان يسرق الأضواء منهم وقد زين تاريخه الأدبي بأروع رواية وهي الإخوة كرامازوف والتي أهداها لزوجته "آنا غوريغوريفينا".

كانت روايات دوستويفسكي عبارة عن مرآة عاكسة لحياة الفقراء و«بتصوريه العالم الروحي والأخلاقي للفقراء، وبذلك حملت رواياته بصمة الواقع المعاصر، ورسم نمط البطل المفكر، وسيطر عليه شك عميق تجاه المثل الثورية الاشتراكية والليبرالية، وتأرجح بين الاتجاهات الفوضوية المدمرة وبين الأفكار الدينية التي تدعو إلى الخنوع»[1].

وهنا وضع دوستويفسكي بصمته الخاصة وأعطى لكتاباته إبداعا جديدا لامس به قلوب قُراءه، وأعطى صورة جديدة للمستقبل، لأن كل رواياته تدعوا للتغيير نحو الأفضل، وهذا ما جعلها تحضى بالأهمية العالية بالنسبة لتطور الحركة الثورية في روسيا، إضافة إلى أنها أصبحت نموذجا للرواية الاجتماعية والنفسية.

وفي عام 1881م يموت دوستويفسكي وتسري رعدة في أرجاء روسيا بأكملها، وحضر جنازته شعب روسيا العظيم، أرادوا جميعا أن يروا ذلك الرجل المنسي الذي في يوم وليلة أصبح عظيما ليفتخروا أنّه من ترابهم.

تحقق حلم دوستويفسكي وأصبح على قدر كبير من الشهرة، وحصل على إعجاب الملايين وانتشر صيته في جميع أنحاء العالم، وتهاتف الناس باسمه في القراءة، لكنه لم يكن موجوداً.

مات دوستويفسكي وهو يؤمن بالحب...يؤمن بالمساواة بين الناس، قال إن الحياة هي الجحيم لكنه أحبها وكافح ليستمر فيها بالرغم من علمه أنها ليست لأمثاله، مات وهو يؤمن بالشيء الذي ميزه الله عن كافة المخلوقات وهو الإنسان «في الأول من شباط 1881 شيع جثمان فيودور

[1] مقدمة الرواية، ص10.

دوستويفسكي إلى مثواه الأخير في موكب عفوي مهيب لم تشهد بطرسبرغ مثله إلا في مقتل الإمبراطور ألكسندر الثاني بعد شهر من ذلك التاريخ!»[1].

صحيح أن دوستويفسكي قد مات لكن ترك وراءه أعمال حية لا تموت تمثلت في مجموعة من القصص والروايات جاءت على النحو التالي:

❖ **القصص القصيرة والسردية:**

- قلب ضعيف، قصة قصيرة 1848؛
- شجرة عيد الميلاد والزواج، قصة قصيرة، 1848؛
- قصة أليمة، قصية قصيرة، 1962؛
- ذكريات شتاء عن مشاعر صيف، سرد قصصي، 1863؛
- التمساح، قصة قصيرة 1865؛
- مذكرات كاتب، سرد قصصي 1873-1881؛
- المثل، قصة قصيرة؛
- زوجة آخر ورجل تحت السرير، قصة قصيرة.

❖ **الروايات:** وامتازت أغلبها بالطول:

- المساكين، وهي أولى روايته، 1846؛
- الليالي البيضاء، وهي الرواية القصيرة الوحيدة لدوستويفسكي، 1848؛
- حلم العم، 1859؛
- مذلون ومهانون، 1861؛

[1] آنا غريفوريفنا دوستويفسكي، مذكرات زوجة الكاتب دوستويفسكي تر: خيري الضامن، دار الهدى، ط1، 2015، ص74.

- ذكريات من منزل الموات، 1862؛
- في قبري، 1864؛
- الجريمة والعقاب، 1866 والتي ترجمت إلى العربية ومثلت باسم "سونيا والمجنون"؛
- المقامر، 1867؛
- الأبله، 1868-1869؛
- الزوج الأبدي، 1870؛
- الشياطين، 1870، والتي ترجت إلى العربية ومثلت باسم الإخوة كرامازوف: وتعتبر آخر رواية للكاتب، إضافة إلى أهم رواية التي جاءت تحت عنوان "رسائل من تحت الأرض"[1].

1-3- ملامح شخصية بطل الرواية:

تحكي رواية رسائل من تحت الأرض "لدوستويفسكي" قصة رجل في الأربعينيات من عمره، رجل فقير، متقاعد بميراث ضئيل للغاية يعاني من مشاكل في الكبد منذ عشرين عاما، لم يستشر طبيبا في حياته كما أنه لا يثق بهم أيضا.

إنه يعيش في مدينة "سانت بطرسبورغ"، في غرفة صغيرة قبيحة ولديه خادمة عجوز إضافة إلى خادم آخر، يرى نفسه أنه رجل معرفة وفكر وميؤوسا منه في نفس الوقت.

يعيش هذا الشخص المجهول الاسم في عزلة تامة عن المجتمع، ويقر بمبالغته في تحليل وتشريح نفسه وأفعاله، كما يشعر أنه مصاب بإفراط في الوعي، ويشير الكاتب إلى مرحلة شباب بطل الرواية، ويوضح أنّ حياته منغمسة في الملذات من جهة، وفي الغرف في تخيلاته وأحلامه من جهة أخرى، ويستدين المال طوال الوقت، ويصّر على اللحاق بمجموعة من الأصدقاء اللذين يحتقرونه، ويخادع بائعة الهوى في منزل للبغاء.

[1] ينظر: مقدمة الرواية، ص 10-11.

«هل تعلم؟ ما من شيء أمتع للإنسان، من أن يعيش في صحبة حمقى، ومن أن يعزف على أوتارهم، إنه يستفيد من ذلك! ، لا تأخذ علّي إنني أقيم وزنا لآراء المجتمع، وانني أحرص على بعض الموضوعات، إنني أنشط الاعتبار والجاه، أنا أعلم أنني أعيش في مجتمع تافه...ولكنني حتى الآن أتحمس له، وأنعق مع الناعقين»[1].

مع المقدمة السلبية التي بدأ بها "دوستويفسكي"، رسائل من تحت الأرض، ومع الإشكاليات المطروحة، يقدم الكاتب بطل روايته فجأة، على أنه إنسان مثقف في القرن التاسع عشر وعلى الرغم من ثقافته وكثرة قراءته وبحثه، إلا أنه لا يعرف من هو، ويقول بشكل واضح أنه لا يمكن أن يكون حقودا أو طيب القلب، لم يستطع أن يكون بطلا أو حشرة، كل ما يفعله هو الجلوس في زاوية غرفته أسفل الأرض، جلوسًا مهينًا لا يعرف أحد وجوده، لكنّ يجد البطل عذرا لهذا، وهو أنه إنسان ذكي جدا، ووحده الأحمق من يستطيع أن يكون شيئا.

«أنا إنسان مريض، إنسان حقود، إنسان ممقوت، وأظن أنّ كبدي مريضة، إلاّ أنني على أي حال، لا أعرف شيئا من مرضي»[2].

وتبدو لنا وجهات نظر البطل متناقضة حتى بالنسبة له، فالقسم الأول من الرواية هو نوع من الأداء الفلسفي، كونه متأثر بالفلسفة والفن كثيرا، حيث يدلي بإدعاءاته ثم ينكرها في كثير من الأحيان، كما أنّ البطل وضع لنا أفكاره الخاصة تحت الأضواء.

«أيها السادة، أرجو المعذرة لأنني حملت فلسفتي إلى مثل هذه الأقوال السخيفة، أربعون عاما تحت الأرض، بعد كل شيء! اسمحوا لي أن أمنح لنفسي مطلق الحرية، كما ترون أيها السادة العقل شيء جيد، لا يمكن الجدل في ذلك، لكن العقل هو فقط العقل، ويلبي فقط الملكات

---

[1] الرواية، ص129.

[2] المرجع نفسه، ص17.

الفكرية للإنسان، بينما الإرادة هي مظهر من مظاهر عالم الحياة، أغنى الحياة البشرية بأكملها بما في ذلك السبب والتكهنات»[1].

ومعنى هذا أنه يميل إلى التركيز بدرجة كبيرة على رؤيته للشخصية، وما يشعر به اتجاه الكثيرة من الأمور، فبمجرد أن يكون له حدس أو رؤية اتجاه أمر ما، يحاول السيطرة عليه بشكل تام، وعادة ما يميل لكونه يركز بشكل كامل عليه، كما أنه يـُسّخر طاقته وعقله له فقط، لذا يظهر لنا البطل على أنه شخصية عنيدة، انطوائية، معقدة، متناقضة.

«التناقض الذي يتجلى في الإنسان الطبيعي، الإنسان الذي يتمتع بالإدراك الحاد، الذي لن يأت من أحضان الطبيعة، وإنما جاء من أنبيب التقطير (هذه أفكار صوفية أيها السادة، إلاّ أني أشك فيها أيضا)»[2].

فطبيعة البطل المتناقضة جعلت نظرته للحياة متناقضة، وغير ثابتة مشيرا إلى أن هذا التناقض ليس فطريا، بل كان وليد التجارب التي مر بها، والنظريات التي يشك فيها.

أي أن البطل صاحب قرارات تبنى على أفكاره، ونظرياته، التي تكونت بناء على رؤيته الخاصة للأمور، فيعتمد على حدسه الانطوائي في مختلف القرارات، خاصة عندما يكون محاطا بالآخرين، لكن عندما يكون وحده يميل أكثر لتفكيره الانطوائي، أّما في مواقفه الصعبة، فيعتمد على عواطفه عند اتخاذه أي قرارات خاصة، إذا كانت متعلقة بإرضاء الغير، لكن في المواقف العادية يميل للاعتماد على حدسه أكثر.

«لستم تفهمون شيئا حتى الآن، أيها السادة، أليس ذلك؟ علّي إذن أن أوضح ذلك أكثر، لعلمكم تفهمون دقائق هذه المتعة، أتضحكون، هذا ممتع جدا، يبُد أنّ نكاتي وسخريتي سخيفة،

---

[1] الرواية، ص51.

[2] المرجع نفسه، ص26.

مبتورة، غامضة، تعوزني فيها الثقة بالنفس، ولكن ذلك طبيعي، لأنني لا أحترم نفسي، وهل يستطيع إنسان أن يتمتع بالإدراك أن يحترم نفسه؟»[1].

هنا نتساءل لما يكتب هذه الملاحظات؟ إنه متناقض جزئيا، ويريد إقناع الآخرين بأنه مثقف، وواعي وفي الوقت نفسه لا يريد ذلك، فهو يحتقر قيم وأفكار الآخرين ومع ذلك فهو يكتب.

ويظهر البطل على أنه من الشخصيات الأقرب للمثالية، ومع ذلك نظرته للعالم ليست وردية، فهو يفهم هذا العالم على حقيقته كونه يحمل "الخير والشر"، على حد سواء، لكن يأمل بأن يغير هذا العالم للأفضل.

فهو شخصية تحبُ إمساك زمام الأمور بإحكام وسيطرة ليست عن طريق الدكتاتورية، إنّما عن طريق التنظيم.

«بالله عليكم ألا أخبرتموني، من هو الذي أعلن أنّ الإنسان لا يفعل الأمور الكريهة، إلاّ أنه لا يعرف مصالحه الخاصة، وأنه ما أن يفهم ويفتح عينيه على مصالحه الطبيعية الحقيقية حتى يكفّ فعل الأشياء الكريهة، ويصير صالحًا نبيلا»[2].

الكآبة والتعاسة والنسيان، هي رسائل وصفات تميز شخصية البطل المجهولة الاسم في رواية رسائل من تحت الأرض، إنها الشخصية التي تحمل الكثير من صفات كاتبها، لذلك كانت الكآبة في الرواية شكلا من أشكال الحياة وصيغة من صيغ الخلود وضمان للاستمرارية. الكتابة نقيض للموت وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى أن الكآبة لا تلغي الموت، وإنما تؤجله تماما، كما

---

[1] الرواية، ص33.

[2] المرجع نفسه، ص41.

هو الأمر في حكاية شهرزاد «يجب أن تسامحوني لأنني تفلسفت أكثر ما يجب، فإن ذلك هو نتيجة بقائي أربعين سنة في باطن الأرض...واسمحوا لي أن أغرق في الخيال»[1].

1-4- بطل الرواية وحالته النفسية:

يصف دوستويفسكي في الرواية العوامل الداخلية للإنسان، ويتساءل عن ما هو الإنسان بدون رغبات وبدون حرية داخل المجتمع وللإجابة عن هذا السؤال يمكن التضامن بالرأي مع "فرويد" الذي يرى «أن الإنسان يولد بعدد من الغرائز ويتوقف بقاؤه واستمراره على إشباع هذه الغرائز، وهذا الإشباع يتم عبر تبادل الأشياء العضوية والعناصر الحيوية مع العالم الخارجي، لمخالفتها والأساليب المتبعة في هذا النشاط للقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع، وهذا ما يقود إلى كبت الانفعالات والأفكار التي رافقت أو ذُجمت عن حرمان الغريزة من الإشباع»[2].

ويمكن القول وفقا لما أدلى به "فرويد "إنّ المشاعر النفسية من حب وكراهية، وحزن وقلق وغيرها ذات طبيعة فطرية تولد مع الإنسان، وتمتلك طاقة حيوية تحرك النشاط النفسي للشخص ورغبته نحو إشباعها، لكنها ربما اصطدمت بعوائق خارجية ومن ثم يصب البطل غضبه وحقده، ومخاوفه على المجتمع انطلاقا من مسكنه المعتصم، الذي يقع في قبو أرضي «قمت في زاويتي، ولم أترك هذه الزاوية غريبة علّي فقد كنت أقضي فيها بعض الأوقات، إلاّ أنني استطعت بذلك أن أستقر فيها نهائيا، إنني أعيش في غرفة مزعجة في أحد أطراف المدينة»[3].وفي موضع آخر يقول: «تحدث عن نفسك وحياتك الشقية في قبوك المظلم»[4].

---

[1] الرواية، ص51.

[2] بدر الدين عامود، علم النفس في القرن العشرين، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2001، ص270.

[3] الرواية، ص20.

[4] المرجع نفسه، ص 198.

وينتقد المجتمع، ويدين حضارة الغرب بتوصيف استقاه للغرب المتخفي بثوب الحضارة، فيقول: «ترى هل لاحظتم أنّ أشد الناس حضارة هم أمهرهم في الذبح وسفك الدماء»[1].

وفي موضوع آخر يصرح بأن: «الفرد في القرن 19، يحب أن يكون مخلوقا، لا شخصية له، أما الإنسان الذي يتميز بالشخصية الإنسان الفعّال، فهو مخلوق محدود، هذا تعلمته طيلة السنوات الأربعين»[2].

يصور دوستويفسكي مأساة هذا الإنسان المهان والحقود، ورغبته في مستقبل أفضل، وفي الوقت ذاته، إدراكه لاستحالة تحقيق ذلك، إذا فحتى حب "ليزا "له والذي كان من الممكن أن يغيره إلى الأفضل وإلى السعادة ظلّ يرفضه، وثمة نوعان من الحب عند فرويد، «يطلق الأول على العلاقة بين الرجل والمرأة، بداعي حاجتهما الجنسية، أّما الثاني فيطلق على العواطف الإيجابية التي تقوم ضمن نطاق الأسرة بين الأهل والأولاد، بين الإخوة والأخوات ويميل فرويد إلى تسمية النوع الثاني، "الحب المكفوف" من حيث الهدف، أي محب»[3].

وهذا ما يبينه بطل الرواية بقوله: «إنك تهبين الحب لأي سكير ليسخر منه! الحب؟ إن الحب هو كل شيء، إنه جوهرة غالية، وهو أعز كنوز الفتاة – أجل إن الحب كذلك! إن الرجل ليهب روحه من أجل هذا الحب، ويواجه الموت من أجله! فما هي قيمة حبك الآن؟ إن الناس يستطيعون أن يشتروك تماما، يشتروك كلك! ولماذا يحاول أحد أن ينال حُبك إذا كان يستطيع أن يحصل على كل شيء دون الحاجة إلى هذا الحب؟ ليست هناك إهانة أشد من هذه الفتاة. ألا تريدين ذلك؟»[4].

---

[1] الرواية، ص44.

[2] المرجع نفسه، ص 19.

[3] فرويد سيغموند، قلق في الحضارة، تر: جورج طرابيشي، بيروت، دار الطبيعة للطباعة والنشر، 1966، ص60.

[4] الرواية، ص184.

ويقول في موقع آخر: «كان عليها أن تقاسي من أجل ذلك! وشعرت في أعماق قلبي بكراهية شديدة نحوها، وأعتقد أنه كان بوسعي أن أقتلها وأنتقم لنفسي منها»[1]. مفضلا الانزواء في قبوه، مسجونا في كبريائه الجريح، وعزة نفسه المهانة، ونزعته الشريرة، وسخطه ومراراته وهو ما بينته العبارة التالية: «أنا إنسان مريض...إنسان حقود، إنسان ممقوت، وأضن أن كبدي مريضة إلا أنني على أية حالة، لا أعرف شيئا من مرضي ...إن حقدي هو الذي يجعلني أرفض استشارة أي طبيب»[2].

تملك الشخصية الرئيسية الكثير من التناقضات لدرجة أنك تخال نفسك فيها في عالم غرائبي، فهي قادرة على التحول بثوان من مساحة شفافة بيضاء شديدة الطهر والبهاء، إلى مساحة شديدة الظلمة والقبح والوضاعة، ويحدث كل ذلك عبر مواقف متسارعة، وهذا ما حاول أن يرويه الروائي دوستويفسكي، وهذا ما يدفعنا إلى أن نتساءل: هل الكتاب رسائل...أم بوح بأسرار؟ فالكتاب قريب من السيرة الذاتية وبعيد عن الرواية، وفي حدود سبعين صفحة يقدم رؤاه للحياة بكل ماتحمله من جمال وقبح ونذالة وقذارة.

إنه عبارة عن عملية نبش خفايا النفس لكل تعقيداتها، فتارة هو الفارس النبيل القادم من عصور سحيقة، وتارة أخرى هو الحاقد الوضيع الذي يتصيد صعود بعض الأصدقاء وهو يتألقون في رحلة حياتهم «لم أحافظ على علاقاتي مع أصدقائي طبعا، إذ سرعان ما اختلفت معهم، بل إنني تسرعت لقلة تجربتي وبسبب اندفاع الشباب، ولم أعد أنحني لهم، وكأنني كنت قد قطعت كل علاقاتي معهم»[3].

---

[1] المرجع نفسه، ص185.

[2] المرجع نفسه، ص17.

[3] الرواية، ص78-79.

ويبين في موقف جرى معه، درجة الكآبة والاكتئاب اللتين يعيشها، حيث كان يمر قرب حانة وفجأة يتم رمي رجل مخمور من النافذة الزجاجية، يمتلكه إحساسا أن يعيش تلك التجربة القاسية والفظيعة بكل ما تحمله من غرابة، وخصوصًا عندما عرف أن الذي قام برمي المخمور ضابط قيصري، فيدخل الحانة مختلا أمام الضابط، ولكن الضابط لا يعيره اهتماما، فيشعر وكأنه حشرة بلا قيمة، بل ويصر على توصيف نفسه بذبابة مقرفة «وفي ذات ليلة، بينما كنت مارًا بإحدى الحانات رأيت خلال نافذة مضاءة بعض الرجال، وهم يتشاجرون ويضرب أحدهم الآخر بعصا البلياردو، ثم قذف بأحدهم خارج النافذة...جعلني أحسد ذلك الرجل المقذوف خارج النافذة - كنت أحسده لدرجة أني دخلت الحانة ونفذت إلى غرفة البلياردو، ولم أكن سكران- ولكن ماذا يمكن أن يفعل المرءإذ كانت الكآبة تدفع الإنسان إلى أقصى درجات الهستيريا»[1].

هي هلوسات جنونية عنيفة أحيانا، وبسيطة أحيانا أخرى، هي صفحات مكتنزة بالتناقضات الصارخة بروحه وعقله –يقول: «أنا رجل مريض...أنا رجل شرير...أنا بالأحرى رجل منفر»[2]، ويقول في نهاية الرواية: «إنني أعرف أنني شرير حقير أناني سفيه»[3].

يشعر البطل بالغربة والاغتراب، إذ الاغتراب هو «أن يشعر الإنسان بالوحدة وهو في وطنه، وبين أهله، وهذا النوع هو الصعب، لأنه يغرس في نفس الشخص عدم الاستقرار»[4].

فالشخص الذي يشعر بالوحدة، لابد أن يعاني الكآبة والقلق وعدم الاستقرار النفسي ما يشكل له أمراضًا نفسية وعقدًا، قد تجعل من حياته صعبة يتجرع فيها المرارة، لأن الإنسان بطبعه اجتماعي، ويميل إلى إنشاء علاقات وصلات اجتماعية مع الآخرين، وحين يجد نفسه وحديا فلا بد

---

[1] المرجع نفسه، ص80.

[2] المرجع نفسه، ص187.

[3] المرجع نفسه، ص187.

[4] يحي عبد الله، الاغتراب، دراسة للشخصيات الطاهر بنجلون الروائية، عمان، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط9، 2005، ص21.

أن يناله الصراع النفسي، وقد عرّفه زهران: «بأنه شعور الفرد بالعزلة وعدم الانتماء، وفقدان الثقة ورفض القيم والمعايير الاجتماعية والمعاناة من الضغوط النفسية، وتعرض وحدة الشخصية للضعف والانهيار بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع»[1].

تميز "كارين هورني"، وهي إحدى ممثلات الاتجاه "السيكو-ثقافي" في التحليل النفسي- انطلاقا من تحليلها لبنية الدافعية في علاقاتها مع المحيط الاجتماعي ثلاث أنواع من الحاجات: الحاجة إلى الآخرين، والحاجة إلى معاداة الآخرين، والحاجة إلى الابتعاد عن الآخرين، وترى أن في كل نوع من هذه الأنواع عنصرًا من العناصر الرئيسية للقلق الأساسي يسيطر على تركيبه ويتغلب على العناصر الأخرى، ففي النوع الأول يتغلب الضعف الإنساني على بقية العناصر، وفي النوع الثاني يتكون العدوانية هي الأقوى، بينما يتفوق الانسحاب والعزل على غيرهما من العناصر في النوع الثالث يقول: «وهكذا، فيا مرحبا بباطن الأرض رغم أنني قلت أنني أحسد الإنسان الطبيعي إلى آخر قطرة مما تفرز كبدي من حقده»[2].

وفي موضوع آخر يقول: «انظري يا ليزا، سأخبرك بشيء عن نفسي، لو كان لي بيتا حين كنت طفلا، لما صرت هكذا الآن»[3].

يقدم البطل في القسم الثاني من الكتاب وقائع حياته، حيث كان أسير سلوك عدائي من أصدقائه: غيرة وحسد وتجاهل لوجوده، يسرد وقائع سهرة في مطعم، شريطة أن يدفع كل واحد سبعة روبلات على شرف صديقهم الذي سيسافر إلى بعيد من روسيا، يحضر مبكرًا للمطعم (قبل ساعة)، لأنهم لم يخبروه بالموعد الجديد، يحاول أن ينال من صديقهم المشترك ولكن الصديق يترفع

---

[1] سناء زهران، إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب، القاهرة، عالم الكتب، 2004، ص12.

[2] الرواية، ص65.

[3] المرجع نفسه، ص146.

عن الرد عليه، بل ويكون أقرب ودًا من الآخرين الذي يهاجمونه بطريقة وقحة، والمفارقة أن أصدقائه (أو من هم بحكم الأصدقاء) ينالون منه بطريقة فضة.

بطل رواية رسائل من تحت الأرض سيجمع جل التناقضات، يرسلها من سرداب خفي، ولكنها رسائل تفضح ما يعتري النفس البشرية من قبح وحقد...ومن ترهل المشاعر والأحاسيس ُوصر أن يسميها برسائل (لا رواية لا مجموعة قصصية) هي رسائل أدبية وفلسفية، وإنسانية ذات بعد متجذر في أعماق النفس البشرية، لهذا يرى "فرويد" أن الإنسان ليس «بذلك الكائن الطيب السمح، ذي القلب الظمآن إلى الحب الذي يزعم الزاعمون أنه لا يدافع عن نفسه إلا متى هوجم، وإّنما هو على العكس كائن تنطوي معطياته الغريزية على قدر لا يستهان به من العدواني»[1].

فالرواية إذا هي تصوري للمشاعر والأحاسيس المكبوتة عند دوستويفسكي، وتصورات فكرية وفلسفية حاكها في الرواية، وأخرج ما في جعبته عن طريق أحداث هذه الرواية.

1-5- نقاط التقاطع بين شخصية دوستويفسكي وشخصية بطل الرواية:

«إن عالم دوستويفسكي الفني هو عالم كله صراع، إنه عالم الفكر والبحث والتأملات المتوترة، وإن تلك الظروف الاجتماعية في عصر المدينة البرجوازية التي تفرق بين الناس وتولد الشر في نفوسهم وتنشط وعيهم حسب تشخيص دوستويفسكي لها، هي ذاتها تدفع أبطاله إلى طريق المقاومة، وتولد فيهم الطموح إلى تفهم تناقضات عصرهم من جميع الجوانب بل حتى إدراك الحصيلة وآفاق البشرية كله، وتوقض عقولهم وضمائرهم»[2].

ومعنى هذا أن دوستويفكسي تأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه وذهب يبحث عن حلول للصراعات ويجد مخرجًا للتناقضات والتوترات الموجودة فيه وذلك عن طريق توظيفه لشخصيات

---

[1] فرويد سيغموند، قلق في الحضارة، تر: جورج طربيشي، بيروت، دار الطبيعة للطباعة والنشر، 1996، ص73.

[2] مجموعة من المؤلفين، دوستويفسكي، دراسات في أدبه وفكره، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م، تج: نزار عيون السود، ص، 13.

في أدبه وهي انعكاس لشخصيات في مجتمعه وهذا ما لمسناه في الشخصيات التي وظفها في الرواية.

«اهتم دوستويفسكي الأديب والمفكر بالجانب الخيالي الغريب والمعقد من حياة المدينة الكبيرة، قد سمح له بأن يربط في قصصه وروايته اللوحات الدقيقة والمكثفة للواقع اليومي الاعتيادي لذلك الإحساس العميق بالمأساوية الاجتماعية لهذا الواقع وبذلك المدى الفلسفي الواسع لشخصياته وأبطاله وبتلك القوة في النفوذ إلى أعماق النفس الإنسانية التي نجدها مجتمعة في الأدب العالمي»[1].

ومن هنا يتضح لنا أن دوستويفسيكي بتوظيفه لخياله الغريب والمعقد كان نتيجة الإحساس العميق بالمأساة الاجتماعية للواقع وتعبير عما يختلج النفس الإنسانية، هذا ما جعله يجسد ذلك الإحساس في رواياته وقصصه ولوحاته.

«لم يكن دوستويفسكي فيلسوفا أو منظرًا، ولم يأخذ على عاتقه صوّغ مذهب كامل هادف من الآراء، والنظريات حول قضايا الأدب والفن، لقد تكونت آراءه الجمالية تحت تفكيره بتلك المسائل التي أقلقته كأديب وفنان والتي استنبطها من أعمال ومؤلفات من سبقه أو عاصره من الأدباء والفنانين، وخلال تطور إنتاج دوستويفسكي وإبداعه المسائل والقضايا موضوع تفكيره تتبدل، وتتغير كما كانت تتأثر بهذه التغيرات الحلول التي اقترحها أو توصل إليها لهذه القضايا»[2].

وهذا يعني أن دوستويفسكي لم يكن منظرًا أو فيلسوفًا بل كان هدفه من تحليله للقضايا والمسائل التي أقلقته وإيجاد حلول لها عن طريق الإبداع والفن، وكانت تتغير أفكاره وحلوله بتغيرات الظروف.

---

[1] المرجع نفسه،ص15 .

[2] مجموعة من المؤلفين، دوستويفسكي، دراسات في أدبه وفكره، ص31.

إن التحليل النفسي يكشف عن أن الرواية منحت مجالا واسعًا للكاتب ليبدع ويحرر مكبوتاته ورغباته الدفينة في نفسيه ونفوس شخصياته فهذه الرواية كانت فضاء رحب للتخلص من قيود الواقع وإطلاق الفنان لنفسية الكاتب قصد التعبير عن ذاته بكل حرية، وذلك من خلال أقوال شخصيات الرواية وأفعالها، وفيما يلي نوضح كيف قدمت رواية رسائل من تحت الأرض الشخصية الرئيسية (البطل) وحالته النفسية.

بالعودة إلى حياة دوستويفسكي نجد أنه من خلال كتابته للقسم الأول من الرواية والمعنون بـ "تحت الأرض" كانت زوجته "ماريا" تحتضر وتوفيت قبل أن يكمل القسم الثاني منها 1864 في رسالة لها خلال عام 1855 كتب دوستويفسكي: «تسأليننني كيف أقضي وقتي وكيف أرتب حياتي من دونك في أسبوعين لم أعرف ماذا أفعل بنفسي، حزين جدا أنا فقط لو تعلمين لم أشعر باليتم الآن، إنها فترة مماثلة للزمن الذي قبضوا فيه علي عام 1849م، وضعوني في السجن، وسلخوني من كل ما أحببته وقدرته، لذلك نما الكثير في داخلي اتجاهك، لم أنظر أبدًا إلى اجتماعنا كتعارف عادي والآن عندما لم تعودي بقربي بدأت أفهم الكثير من الأشياء»[1].

وأهم نقطة التقاء بين شخصية دوستويفسكي والبطل هي الطبيعة الانطوائية والمتناقضة لكليهما، والنظرة التشاؤمية لبعض الظواهر الاجتماعية من ظلم واستبداد واحتقار، ولعل السبب الرئيسي الذي ولد هذه الطبيعة هو العلاقات التي عاشها الكاتب وجعل البطل يعايشها، فالبطل في رسائله يبوح بمشاعر وأحاسيس ورؤى لم يستطع دوستويفسكي البوح بها للمجتمع، فوجد أن شخصية البطل هي الوسيلة الوحيدة ليخرج مكبوتاته وأثقال نفسه وما عاشه من عقد منذ طفولته، كانت ذاكرة دوستويفسكي مليئة بالحكايات والأحداث التي عاشها في طفولته وشبابه، الذاكرة وما تحويه من خزين هائل من الألم والمعاناة، كفيلة بأن تخرج لنا هذا الألم على هيئة رموز

(1)الرواية، ص17,

وشخصيات متحركة في دائرة الزمن البشري، وكيف ترى العالم من منظورها الداخلي ورؤيتها الخاصة.

2- العلاقات النفسية بين شخصيات الرواية:

بُنيت الرواية على مجموعة من الشخصيات الأساسية، أولها الرجل المجهول الذي يمثل بطل الرواية، إضافة إلى الشخصيات الثانوية التي تساعد في تحريك أحداث هذه الرواية تمثلت في الضابط زيركوف، سيمينوف، الفتاة ليزا.

2-1- علاقة البطل بالضابط:

من خلال أحداث الرواية يتضح لنا أن البطل يكن مشاعر الغضب والحقد الدفين والكره الشديد لضابط الشرطة، وهذا راجع إلى الإهانة التي تعرض لها البطل من طرف الضابط، فالبطل كان مهووسا بمراقبته والتفكير في طريقة للانتقام منه، وهذا كرد فعل على التصرف السيئ الذي تعرض له.

«ولم تكن الحادثة البسيطة بالنسبة لي إلى ذلك الحد، كنت أقابل ذلك الضابط في الشارع وأراقبه بعناية، ولست أعرف إن كان قد عرفني كلا، لا أعتقد ذلك، إذ لم يبدوا شيء في ملامحه على أنه قد عرفني، غير أنني كنت أحدقُ فيه بحقد وكره شديدين واستمر ذلك...أعوام؟ وتضاعف كرهي له بمرور الأيام»[1].

وهنا نعرف أن الحالة النفسية التي كانت يعيشها الرجل الغامض أساسها الحقد، والانتقام والغضب والكراهية، كونه شخصية حساسة جدا، وهذا ما أشرنا إليه سابقا في إعطاءنا لبعض السمات لشخصية دوستويفسكي، بحيث كانت مجسدة في شخصية البطل (الانطواء، القلق، التناقض).

[1] الرواية، ص82.

2-2- علاقة البطل بزفيركوف:

من خلال الرواية يتضح أن "زفيركوف" هو صديق قديم للبطل، وكان هذا الأخير يكن له مشاعر الكره الشديد منذ أيام المدرسة، وبسبب الأحداث التي جرت في مأدبة العشاء والتي من خلالها تمت إهانة الرجل الغامض من طرف أصدقاءه، والذي كان "زفيركوف" من بينهم أعلن للجميع أنه يكن لهم مشاعر الكره والحقد، ولأنهم لم يعتبروه ولم يعببروا وجوده وهذا ما ظهر في قوله: «ولم يكترث أحد منهم لي، فجلست وأنا أشعر بالانسحاق والذلة، وقلت في نفسي: يالي السماوات أهذه هي الصحة التي أردتها لنفسي؟ أي حمار جعلت من نفسي أمامهم»[1].

كما كان زفيركوف دائما يسعى لاستصغار الرجل الغامض والتقليل من قيمته والتعالي عليه: «وهكذا فقد اعتبر نفسه منذ البداية أسمى مني في كل شيء، وقلت في نفسي: إذا كان يريد أن يهينني باتخاذ مظهر جنرال فليس ذلك بالأمر المهم، ولكن ماذا لو كان هذا الأحمق يعتقد في صميم نفسه ودون أي رغبة في الإساءة لي بأنه أسمى مني كثيرا وبأنه يجب أن ينظر إلي بذلك التعالي؟ كان مجرد التفكير بذلك يخنقني استياءً»[2].

بالرغم من أن البطل في الرواية كان يذل نفسه ويهينها ويقسوا عليها ويرى أنه لا يرتقي إلى مستوى البعوضة إلا أنه في نفس الوقت لا يسمح للآخرين بإهانته والتعالي عليه حتى ولو بنظرة وهذا ما يسمى بالتناقض الذي اتسم به البطل في هذه الرواية.

2-3- علاقة البطل "بسيمينوف":

يعد سيمينوف أيضا صديقا للبطل من أيام المدرسة، وككل مرة كان يكن مشاعر الكره لكل واحد من أصدقائه، ربما السبب أنهم كانوا اجتماعيين أكثر منه أو جرأة أو ثقة بالنفس منه، وكان

---

[1] المرجع نفسه، ص116.

[2] الرواية، ص110.

يضن البطل أن سيمينوف يكرهه ويكره رؤيته ورغم كل هذا كان قريب منه لأنه فيه نوع من استقلال الشخصية والأمانة على خلاف الآخرين وفي نفس الوقت يرى فيه نوع من الغباء وهذا جاء في قوله: «كان لي أيضا صديق آخر اسمه سيمونوف، وكنت أعرفه من عهد الدراسة، كنت أعرف الكثيرين من زملائي في الدراسة في بطرسبرغ إلا أنني لم أتصل بهم»[1].

وقال أيضا: «كان سيمينوف أحد هؤلاء، وكان في أيام الدراسة طفلا هادئًا...اكتشفت فيه شيئا من استقلالية الشخصية، بل الأمانة»[2].

مما سبق يتضح لنا أن الرجل الغامض رغم العلاقات الموجودة حوله إلا أنه كان دائما يتسم بالانطوائية ويفضل عالمه المظلم ويلتمس السوء في كل من حوله، حتى وإن كان ذلك عكس ما يكنوه له، وهذه الحساسية المفرطة عند البطل ناتجة عن شخصية الانطوائية، فكان يشُك في كل التصرفات والمشاعر التي كانت تحيط به.

2-4- علاقة البطل بليزا:

ليزا هي فتاة تعرف عليها البطل يوم التقاءه مع أصدقاءه على العشاء، كرد فعل منه على أصدقاءه الذين تعرفوا على فتيات آنذاك، كي لا يحس بالنقص أمامهم وكي لا يشعرهم أنهم أحسن منه، وبعد أن دار حديث بينهما بدأ البطل في توجيه انتقادات لاذعة للحياة التي تعيشها ليزا، ويصور لها كيف ستصبح في المستقبل، وفي كل مرة يشعرها بأنها فتاة عديمة الفائدة في المجتمع، في البداية لم تتأثر بكلامه فالأحلام والطموحات تطغوا وتسيطر على تفكيرها، ولكن بعد تحديه لأحلامها الفردية، أدركت في النهاية محنة حياتها، فكان البطل يلعب دور الناصح والمنقذ لهذه

---

[1] المرجع نفسه، ص94.

[2] المرجع نفسه، ص94.

الفتاة ويمنحها الشجاعة والقوة لترك ما هي عليه، فأعطاها رقم هاتفه في حال احتاجت إلى مساعدة وعنوان قبوه.

كانت تراه مخلصا، فالرجل الذي لامس عذابها ودخل أعمقاها، غمرها بنصائحه، لقد وجدت أملا بين كلماته: «إن الإنسان يا ليزا لا يتذكر إلا مصائبه، وهو لا يتذكر شيئا من الأيام التي يكون فيها محظوظا، ولو تذكر ذلك لأدرك أنه قد كان له نصيب كبير من ذلك أيضا، ولكن ماذا لو سارت الأمور سيرا حسنا بصورة دائمة؟»[1].

كان يشعر بشيء من الغبطة والسعادة بأنه استطاع أن يجذب تلك الفتاة لكلماته، لقد وجد من يفرغ فيه عقده، وفي نفس الوقت وجد من يحبه فامتزجت قسوة القلب وحلاوة الحب معًا، هو لم يكن يعرف ما هذا الشعور، كل عرفه هو لمسة السرور التي باتت حديثا تلامس قلبه.

ظل الرجل المجهول يفكر بها لأيام عديدة، لدرجة أنه رسم قصة حب معها، وفي نفس الوقت يتمنى أن لا تأتي إلى منزله، لأنه يعلم أن الشخص الذي كان في عينيها سيختفي حال ما تراه في منزله، فقد كان يشعر بنفسه حقيرًا مذلولا في ذلك الركن من غرفته، إلا أن أتت «وقد أقلقني كثيرا التفكير في أنه قد تحضر "ليزا" لزيارتي، ولاح لي أمرًا غريبا جدًا أن تعذبني ذكراها أكثر من شيء آخر، ذكراها بصورة خاصة...تذكري لها كان السبب الوحيد في شقائي، وطفقت أتساءل طيلة الوقت: ماذا لو حضرت؟ وماذا لو فعلت ذلك؟...بيد أنني لا أريدها أن ترى كيف أعيش»[2].

لم يكن يعرف ماذا يفعل مع كل التخبطات التي يواجهها داخله، قد خجل من نفسه أمامها يحبها ويريدها أن تحبه، وبنفس الوقت حقد عليها لأنها رأته في هذه الحالة.

---

[1] الرواية، ص148-149.

[2] الرواية، ص168.

وهذا الذي جعله يثور عليها، ودهس كل خلية بقلبها بقدميه، وصبّ كل غضبه على العالم فيها، ولقد دفعت الثمن غاليا بمجيئها، والذي جعلها تنتحب من ثم تذهب.

كان هذا الوضع أقسى ما مر به البائس بحياته، فقد صور الكاتب أن معاناته أجمع لم تكن بذلك العذاب الذي ذاقه عندما رآها تنتحب، فالحقد قضى على قلبه لدرجة يجعله حاقدًا على الحب، ولكن بالنظر إلى الشخص الوحيد الذي أحبه بحياته، جعله يشعر بمقدار غبائه ولماذا قام بذلك ليذوق ندم وألم جديد وهو فقدانها: «ارتديت كل ما امتدت يدي إليه من ملابسي، وركضت منطلقا في أثرها...لأركع على ركبتي أمامها، وأبكي نادمًا، وأقبل قدميها وأستسمحها العذر! لقد أردت أن أفعل ذلك، وكان صدري يتمزق أسى، ولا يمكنني أن أتذكر تلك اللّحظة بلا اكتراث مطلقًا»[1].

وهنا نقول أن "ليزا" هي الشخص الوحيد الذي استطاع فتح قلبه لها، لينطق بشيء غير الحقد، غير الكره والانتقام، إنها الفتاة التي جعلته يتكلم عن الأشياء الجميلة في حياته، أو التي تمنى أن تكون موجودة في حياته.

وفي النهاية توصل البطل إلى أن حقده اتجاه كافة أفراد المجتمع وعدم قدرته على التصرف بأي أمر لا يجعله أفضل من أولئك الذين يفترض أنه يحتقرهم، وأخيرا اقتنع أنه من الأفضل له بدل أن يضيع وقته في الحقد والكراهية على المجتمع بأن يسعى إلى التعبير بدل التفكير بالانتقام، وأن الألم الذي اعتصر قلبه هو في الحقيقة ما أعمى على بصره ولمك يجعله يرى الجانب المضيء من الحياة.

---

[1] المرجع نفسه، ص197.

خاتمة

خاتمة:

رواية رسائل من تحت الأرض "لفيودور دوستويفسكي" تغوص في خبايا النفس البشرية، وتم فيها تسليط الضوء على النواحي السلبية والبائسة، فهي من الروايات التي اهتمت بما تحمله النفس البشرية من أسرار، وتغلغلت في ذات الشخصية ونبشت ما في داخلها من عقد نفسية، وفيها برزت مشاعر وأحاسيس المؤلف أمام المتلقي، فمن خلالها يتمكن القارئ من فهم الكثير من الجوانب النفسية لمؤلفها، بسبب الصلة المباشرة بينه وبين شخصياته الروائية.

وبرز الجانب النفسي في الرواية من خلال تصوير مشاعر الشخصية وعواطفها وسلوكها وطباعها ومواقفها من القضايا المحيطة بها، كما ظهر من العقد النفسية التي ألّمت بها بسبب مصاعب الحياة التي واجهتها، أو نتيجة كونها ضحية ممارسات ظالمة، مارستها عليها شخصيات أخرى.

يمتاز البعد النفسي في الرواية بالتوتر والقلق والاضطراب الذي يعتبر السمة الأساسية للبطل، ويشير إلى أن ثمة أزمة إنسانية في الرواية تدفعه إلى عدم الشعور بالطمأنينة.

كما يعتبر الاكتئاب من المواضيع الأساسية في الكتابة الروائية وهو من الموضوعات المنتشرة في أغلب كتابات "دوستويفسكي" «إن الاكتئاب هو أبغض تجربة أمر بها على الإطلاق، إنه انعدام تصور الشعور بالسعادة مرة أخرى، وأيضا غياب الأمل كليا، إنه الشعور بالموت، إنه مختلف تماما عن الشعور بالحزن».

فالاكتئاب لدى الشخصية الروائية شبيه بالخيبة والعجز، وإحساس بالضياع واللاجدوى الذي يُسكن الشخصية في سجن بلا جدران، وحالة نفسية مرضية للشخصية الروائية التي تعد كائنا ورقيا بتعبير "رولان بارث".

ويتأرجح البعد النفسي لدى الشخصية الأساسية بين الإحباط من الواقع الراهن نتيجة الأمراض الاجتماعية السائدة من ظلم واستغلال، فالرواية تتسم بالكآبة لدرجة غير طبيعية، الأحداث قليلة وحديث النفس طويل جدا، حتى في العلاقة الجميلة تغاضى البطل عن النواحي الإيجابية وحولها بوسوسته المفرطة وتهويله إلى علاقة سيئة وقدرة وذات نزعة شريرة.

والعبرة من الرواية هي أن هناك العديد من المجتمعات التي تسبب المعاناة والألم للإنسان ولكن الإنسان في الواقع هو بحاجة إلى أمور تجعلك سعيدة، ولا جدال حول الألم والمعاناة من الأشخاص أو المجتمع هو في الحقيقة يسلب حرية الإنسان.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

_المصادر:

فيودور دوستويفسكي رسائل من تحت الأرض، ترجمة أنيس زكي حسن.

_المراجع:

آنا غريغوريفا دوستويفسكي، مذكرات زوجة الكاتب دوستويفسكي، ترجمة خيري الضامن، دار المدى الطبعة الأولى، 2015.

أبو السعد عبد اللطيف، علم النفس الشخصية، دار أربيد للنشر والتوزيع، شارع الجامعة بجانب البنك الإسلامي.

أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ترجمة عبد السلام محمد هارون، دار اتحاد العرب، ط1، 2002، ج5.

يوسف وغليس، مناهج النقد الأدبي، دار الجسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007.

محمد فؤاد جلال، مبادئ التحليل النفسي، دار هنداوي، المملكة المتحدة، ط2، سنة 2007.

بديع عبد العزيز القشاعلة، مدارس علم النفس، المركز السيكولوجي للنشر الالكتروني.

فيصل عباس، العلاج النفسي والطريقة الفرويدية.

ثائر أحمد لغماري والدكتور أبو شعيرة، سيكولوجية الشخصية، المكتبة الصفية، الأردن، الطبعة الأولى.

محمد عبد الله أولعماري، علم النفس التربوي وتطبيقاته، مكتبة المجمع العربي، عمان، الطبعة الخامسة، 2010.

فاخر عاقل، مدارس علم النفس، دار الملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1968.

زروحي الدراجي، إشكاليات أساسية في مناهج علوم الإنسانية والاجتماعية، دار صبحي، غرداية الجزائر، الطبعة الأولى 2013.

صالح حسن الداهري، مبادئ علم النفس الارتقائي ونظرياته، دار الصفاء، عمان، الطبعة الأولى 2008.

أسعد شريف الأمارة، سيكولوجية الشخصية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان 2014م-1435هـ.

مأمون صالح، الشخصية بناءها، تكوينها، أنماطها، اضطراباتها، دار أسامة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2008.

فرويد سيغموند، قلقل في الحضارة، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر 1966.

بدر الدين عمود، علم النفس في القرن العشرين، دمشق، اتحاد كتاب العرب، 2001.

يحي عبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون، عمان، دار الفارس للنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، 2005.

سناء زهران، إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب، القاهرة، عالم الكتب، 2004.

مجموعة من المؤلفين دوستويفسكي، دراسات في أدبه وفكره، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012، ترجمة د. نزار عيون السود.

المقالات:

عبد الجواد المحمص، المنهج النفسي في النقد، دراسة تطبيقية، مجلة الحرص الوطني، تصدر عن رئاسة الحرص الوطني السعودي، 1419، العدد155.

عبد الله القرني، المنهج النفسي في قراءة النصوص، مجلة عكاظ ، صوت المواطن السعودية.

مقال بواسطة أكاديمية DTS بعنوان المنهج النفسي في النقد الأدبي.

مصطفى لعقيري، التحليل النفسي للأدب، صحيفة القدس العربي.

أماني المشاقبة، نبذة عن دوستويفسكي، أدباء وشعراء، تدقيق أحمد بني عمر.

المواقع الاكترونية:

http//data.banaf.fr.112148kb1217443807

الفهرس

العنوان	الصفحة
إهداء	
مقدمة	
الفصل الأول: مفاهيم نظرية	
التحليل النفسي وآلياته	06
مفهوم المنهج النفسي	06
نشأة المنهج النفسي	07
أعلام المنهج النفسي	09
مدارس علم النفس	12
الشخصية مكوناتها وأنواعها	23
تعريف الشخصية	23
مكونات الشخصية	25
أنواع الشخصية	26
الفصل الثاني: البعد النفسي للشخصية في رواية رسائل من تحت لفيودور دوستويفسكي	
الملامح النفسية لشخصية دوستويفسكي في الرواية	38
نبذة عن رواية رسائل من تحت الأرض لفيودور دوستويفسكي	38
حياة فيودور دوستيويفسكي	40
ملاح شخصية البطل في الرواية	47
نقاط التقاطع بين شخصية دوستويفسكي وشخصية بطل الرواية	56
العلاقات النفسية بين شخصيات الرواية	59
خاتمة	66
قائمة المصادر والمراجع	69